المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي، يصدرها مكتب الاعلام والنشر في القيادة القومية



العددان ٢١٣ - ٢١٤

تشرين الأول - تشرين الثاني ١٩٨٧

المناضل

المحتويات

« المناضل ص . ب — ١١٥١٢ — دمشق »

المحتويات

« المناضل ص. ب — ١١٥١٢ — دمشق »

الافتتاحية

حركة التصحيح في البعث وفلسطين والعرب..!

الرفيق الدكتور فواز صياغ
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير

يوم السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٧٠ اعلنت القيادة القطرية المؤقتة بيان الحركة التصحيحية التي قادها الرفيق حافظ الاسد الامين العام للحزب ، وقد استهل البيان بفقرة عن الوضع العربي الذي شغل ويشغل بال الرفاق البعثيين في كل مكان،وهوالهم الدائم لكل مناضل تفتحت عيونه على مبادىءالبعثواهدافه «تواجه امتنا العربية اليوم تحديات مصيرية تستهدف وجودها والقضاء على تطلعاتها المشروعة لبناء مستقبلها المنشود ، ويأتي في قمة هذه التحديات اصرار القوى الامبريالية على تصفية قضيتنا الكبرى ومحرك نضال جماهيرنا ونعني بذلك (القضية الفلسطينية) ولكي تصل المخططات الاستعمارية الى تحقيق هدفها في تصفية القضية الفلسطينية وتثبيت الوجود الصهيوني الدخيل على ارضنا العربية المغتصبة فان هذه المخططات تعمل في مناح متعددة للوصول الى هدفها وابرز هذه المناحي يتجلى في محاولاتها الابقاء على التجزئة والتخلف اللذين ترزح تحت وطاتهماجماهير امتنا العربية المناضلة».

اذن فالهم الاول للحزب ولما يحدث داخله من تفاعلات كان دائما الامة العربية وقضيتها الكبرى فلسطين فهي الشغل الدائم والاحساس الاول واي عمل يجانبها ويبتعد عنها مصيره الى رفوف النسيان واي عمل يستهدفها ويصب في مجراها يتصدر قائمة الاعمال الخالدات في سجل الوطن وتاريخه .

وبعد مرور سبعة عشر عاما على حركة البعث التصحيحية مازالت فلسطين هي الهم الاول والاساس على الرغم من ان هناك هموما قطرية وقومية اخرى يحاول القادة المحليون والقطريون ان يضعوها في اولى اهتماماتهم ويتصورون ويصورون ان بحلها تفتح الطريق الى فلسطين ويفتعلون معارك دون كيشوتيه تحاول جذب اهتمام الجماهير هنا وهناك لتلك المعارك محيطين انفسهم بضجيج الاعلام وخزعبلات الانتهازيين الذين لم يصمدوا امام رياح هادئة حركت جناحا نسر عربي حط على ارض فلسطين وقاتل ورفاقه جنود العدو في معسكرهم فابادوهم واستشهدوا في عملية بطولية حملت اسم القرية التي استشهدت على ايدي الغزاة الصهاينة « قبية » وتمثلت فيها وحدة المقاتلين من مشرق الوطن ومغربه .

– فإلى العرب الذين بحثوا عن التضامن العربي مع نظام كامب ديفيد في مصر .

– والى العرب الذين جعلوا من الوجود الامبريالي الاجنبي في الخليج العربي مطلبا قوميا يحتمون به .

– والى العرب الذين يبحثون عن اقامة احلاف عسكرية على غرار حلف الاطلسي او الاحلاف التي هزمتها الجماهير العربية (كحلف بغداد المقبور) .

– والى العرب الذين حاولوا في مؤتمر قمة عمان هذا الشهر ان يجعلوا ترتيب القضية الفلسطينية في جدول اعمالهم في مراتب متاخره .

– والى العرب الذين يحاولون تسويق كامب ديفيد في بلدانهم وخارجها .

والى العرب الذين يستعدون الاصدقاء ويصادقون الاعداء .

– والى العرب الذين ينظرون الى اي اتفاق او اجتماع عالمي يحل مشكلتهم ولا ينظرون الى امكاناتهم وجماهيرهم وقدراتهم واستخدامها في ذلك الاتجاه .

– والى العرب الذين يريدون لغيرهم ان يفكروا عنهم ويعملون عنهم لانهم ان فعلوا ذلك لاتزيد دائرة اهتماماتهم على مساحة الارض التي يقفون عليها .

الى كل هؤلاء نقول ان الرياح التي حملت نسورنا الى فلسطين والتي غطت على ضجيجهم الاعلامي كله ، تلك الرياح ربما تشتد اكثر فتعصف .

دراسات سياسية

الحركة التصحيحية
سجل نضالي متواصل
لتوطيد التضامن العربي الفعال

الرفيق عبد الله الأحمر

الأمين العام المساعد
لحزب البعث العربي الاشتراكي

نحتفل بالذكرى السابعة عشرة للحركة التصحيحية المجيدة التي قادها الرفيق المناضل حافظ الاسد قائد مسيرة حزبنا وشعبنا ، ونحن امام مهام جسام تطرحها المرحلة المتطورة التي وصلتها مسيرتنا النضالية على طريق تحقيق الاهداف الكبرى، الوحدة والحرية والاشتراكية ...

ولقد قطعت ثورة الحزب في القطر العربي السوري اشواطا كبيرة ، وحققت منجزات هامة وتحولات نوعية ضخمة باتجاه بناء المجتمع الجديد ، مجتمع التقدم والاشتراكية ، ومازالت تواصل

المسيرة نحو تحقيق الاهداف القومية الكبرى لامتنا العربية ...

والحركة التنموية في القطر العربي السوري تطرح مسائل لابد من توفير الظروف الملائمة لحلها حلا ايجابيا يؤمن شروط التطور اللاحق ، ويدفع بالشحنة التنموية اشواطا متقدمة تمكنها من النهوض بالبنية الاقتصادية والاجتماعية الشمولية ، والارتقاء بها الى مراتب نوعية جديدة ، اكثر تطورا واعظم قدرة على الاستجابة الى مطاليب المجتمع الذي نصبو اليه ، المجتمع الذي يعتمد اعتمادا كليا على امكاناته الذاتية ، اي على موارده المتوافرة وقدرات ابنائه الخلاقة ، ليكون هذا المجتمع قاعدة لرفد صمودنا المتواصل في وجه العدوان الصهيوني ومرتكزا لمتابعة مسيرة البناء والتحرير ...

ومثل هذا الارتقاء النوعي نحو مرتبة اعلى في سلم التطور يتطلب مضاعفة الجهود وتحمل المسؤولية بجراة واقدام في رصد الخلل في واقعنا واعادة الضبط والتوازن الى جميع اطرافه وتجاوز المصاعب التي خلفتها التراكمات السلبية ، ذاتية المنشا وموضوعيته ، داخلية المصدر وخارجيته ، التراكمات التي افرزتها مرحلة ماضية غنية بالانجازات التنموية ، مشبعة بالتطور في جميع المجالات ...

ان اية معالجة ناجعة لابدوان تعتمد الكشف والتغيير ،الكشف الذي يتركز على اعادة تصنيف العناصر الاساسية في بنية الواقع وبالتالي ترتيب العلاقات المحورية بين هذه العناصر على الشكل الامثل ، والتغيير الذي يتضمن العمل النشط باتجاه تطوير الفعالية الوظيفية التي تنتج عن التصنيف المضبوط للعناصر والترتيب الامثل للعلاقات ...

والهدف من تلك المعالجة الشمولية جعل بنية مجتمعنا اكثر تنظيما واعظم قوة واشد تماسكا في جبهته الداخلية وافضل تمسكا باهداف حزبنا وقائد جماهيرنا الرفيق المناضل حافظ الاسد ،

واقوى اعتمادا على امكاناته الذاتية وبالتالي ، اكثر استعدادا لانتاج الوظيفية المناسبة ، الوظيفية المؤثرة في مجرى الاحداث التاريخية ، الموجهة لها باتجاه بلوغ الوحدة والحرية والاشتراكية .

وعلى صعيد الوطن العربي فان الحملة الشرسة المتفاقمة التي تتعرض لها امتنا العربية بكاملها تشير الى مدى مايمكن ان تذهب اليه القوى الامبريالية والصهيونية في الممارسات العدوانية والتعسفية والقمعية التي تهدف بشكل عام الى منع العرب ، كل العرب ، من التقدم نحو الوحدة ، ومن ان يعيشوا حياة حرة كريمة في ظل استقلال سياسي واقتصادي متكامل ...

في وطننا العربي الكبير تستعمل هذه القوى ، من اجل بلوغ الهدف الواحد نفسه ، كل ما عرفه التاريخ الاستعماري بقديمه وحديثه من سياسات وممارسات . فهنا تحشد اقوى الاساطيل ، وهناك تنتهك الحقوق الدولية ،وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، بل وحقوق الانسان واهمها حقه المقدس في الحياة . هنا تطبق ابشع انواع الارهاب ، الرسمي والجماعي والفردي ، وهنا تستخدم افظع اساليب الابادة الجماعية على اوسع نطاق ، حيث تزال قرى وتجمعات سكنية عن بكرة ابيها ، حيث تغتصب الارض وتسرق الممتلكات بتعسف وغطرسة وعدوانية لم يعرف لها التاريخ مثيلا ..

في وطننا العربي الكبير تستعمل القوى الامبريالية والصهيونية افضل ماتوصل اليه العقل البشري في تطوره الحضاري المتواصل من علم وتقنية في القتل والابادة والتهديد والسيطرة والقمع ،بل وفي طمس حق امة كاملة بالحياة الحرة المستقلة .

وفي اطر هذه الهجمة الكبيرة تستعمل اساليب مختلفة لتحقيق الهدف الواحد ، ففي جزء من وطننا الكبير تحتل الاراضي من قبل الكيان الصهيوني احتلالا استيطانيا ، ويطرد العرب من ارضهم وديارهم ... وفي جزء آخر تتم سرقة الموارد العربية من قبل

الانظمة الراسمالية على طريق آلية استنزاف الدخل والتلاعب باسعار هذه الموارد وسبل تسويقها ... وفي جزء ثالث تفتعل الحروب على اساس تناقضات هامشية ، بل غالبا ماتفتعل هذه التناقضات التي لاوجود لها اصلا ، ثم توقد نار الحرب استجابة لها ، فتكون حربا فعلية ومدمرة ذات اسس ومسببات وهمية تؤدي ، كالحرب العراقية ـ الايرانية ،الى الهاء العرب عن قضيتهم الاساسية وتوجيه اهتمامهم نحو صراع لامبرر له يلتهم امكاناتهم وطاقاتهم ويهدد امنهم وسلامهم واستقرارهم خدمة للاهداف الامبريالية والمرامي الصهيونية ...

تجربة جديدة لم يعرف لها التاريخ مثيلا ، واسلوب مبتكر يطبق في ارضنا العربية وعلى حدودها يهدف الى استنزاف طاقاتنا وقدراتنا عبر توظيفها بالاتجاه الخاطىء ، ومن ثم طمس التناقض الاساس في المنطقة تمهيدا لاعادة الهيمنة والسيطرة عليها .

كل الحروب التي عرفتها البشرية في تاريخها الطويل اتت نتيجة لتناقضات تناحرية ، لخلافات جذرية واختلافات مستاصلة، اما ان تشن حروب ساخنة تبتلع آلاف الارواح وتستنزف جل الطاقات دون وجود حتى مبرر واحد قابل للمناقشة ، فان الامر يتطلب تحليلا اعمق يضع المسالة برمتها ضمن اطرها الفعلية ، الاطر التي توضح المسببات الحقيقية والخلفيات الفعلية لهذه الحروب .

في الاطار الواسع الشمولي ، هناك تناقض اساسي بين الامبريالية والصهيونية وبين جميع القوى المعادية لهما في المنطقة ، ولحل هذا التناقض لصالح الامبريالية والصهيونية تسخر ادوات محلية ، يرتبط وجودها بالدعم الاجنبي ، او ينقصها الوعي والوضوح فيتراءى الهامشي لها اساسيا ، ويتمثل الجانبي امامها جوهريا ، فتختلط الامور ، وترتبك الوقائع ، وتتقلب الرؤية ، ويظهر الخلل المحوري في النسق العام للفعل والحركة .

لذلك يطرح واقعنا العربي الذي نعيش ارهاصاته وتقلباته وشحناته متضاربة الاتجاهات ، مهمة ملحة ، مهمة نؤكد عليها ونحن نحتفل بذكرى عزيزة ، ذكرى محرضة للجهد والعمل ، مهمة اعادة ضبط بنية هذا الواقع والتركيز على محاوره الاساسية وتناقضاته الرئيسية بهدف حشد طاقات الامة باتجاه التصدي للعدوان الصهيوني المتواصل ودفاعا عن مصير هذه الامة ومستقبلها .

وضمن هذا الاطار ، اطار التعرف على بنية الواقع ، محاوره وعلاقاته ، تناقضاته الرئيسية وتناقضاته الهامشية غير التناحرية يوظف حزبنا في ظل الحركة التصحيحية المجيدة ومنذ قيامها في السادس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٧٠ ، كل نشاطه وفعاليته للعمل على تمتين التضامن العربي واعطائه المضمون الذي يتناسب والمهمات الاساسية المطروحة في الواقع العربي المعاصر .

فالتضامن يعني تجنيد كل الطاقات والامكانات التي تتضمنها بنية الواقع العربي وتوجيهها نحو تصعيد التأثير العربي وتقوية فعاليته باتجاه حسم الصراع مع عدونا الصهيوني لصالح امتنا العربية وتوطيد المسار الطبيعي لتطور هذه البنية ، اي باتجاه ازالة جميع العوائق التي توضع على طريق امتنا نحو التقدم والتحرر والوحدة .

وعمليا ، لايمكن تصعيد الفعالية الوظيفية لبنية ما ، اذا لم يتم قبل ذلك اكتشاف طبيعة العلاقات المتشابكة التي تشكل «منسجمة» هذه البنية ، اي لايمكن دفع الواقع العربي باتجاه التحرر والتقدم اذا لم تتم معرفة طبيعة تناقضات هذا الواقع ، واذا لم يوضع الواقع على قدميه بعد ان كان واقفا على راسه .

التضامن العربي ، الذي هو احد اهم مرامي نضالنا في ظل التصحيح ، لايمكن ان يكون خارج هذا الاطار ، فلا فعالية لبنية مقلوبة ، لواقع يقف على راسه ... التضامن العربي هو تضامن من

اجل الجوهر ، من اجل حل التناقض الاساسي ، التناقض الذي يعطي البنية سماتها الاساسية ، والذي يشرطها ويحددها ويؤثر في وظيفتها اي تأثير ...

ان تاريخ الحركة التصحيحية المجيدة ، هو تاريخ النضال من اجل هذا التضامن الكفاحي الوظيفي الفعال ، والقطر العربي السوري هو اكثر الاقطار العربية تضررا من غياب مثل هذا التضامن المؤثر ، فهو القطر الذي يتحمل القسط الاكبر من افرازات التناقض الاساسي في المنطقة ، التناقض مع العدو الصهيوني الذي لايقبل باقل من نفي الامة العربية كوجود معطاء وكرسالة حضارية فذة .

ان الالتزام بهذه المهمة التاريخية لجماهير قطرنا ، وجماهير الامة العربية قاطبة هو قدر لانه خيار ، خيار حددته طليعة هذه الجماهير الواعية ولايمكن ان تحيد عنه ، ومادام هناك وعي ثوري متاصل عند الطليعة ، فان الامور لايمكن ان تختلط ،والمسائل لايمكن ان تتشابك ،بل تبقى القدرة على اكتشاف الصورة الحقيقية للواقع، وتطويره باتجاه مراحل متقدمة ضمن نسق فعال متكامل ، سبيلا اساسيا لنضالنا الراهن من اجل تضامن عربي كفاحي فعال ، وقاعدة لتفاؤلنا بمستقبل هذه الامة وبدورها الكبير في تاريخ الانسانية ..

وفي اطار تعزيز التضامن العربي بالذات برز دور القائد العربي الكبير ، الرفيق المناضل حافظ الاسد . ففي كل مرة كان التضامن يتعرض فيها لمؤامرات الاعداء ومناورات المستفيدين من واقع الانقسام والفرقة ، كان القائد الاسد يتصدى ، بحكمته وشجاعته وصبره وسعة افقه ، لمثل هذه المحاولات ويعمل على تركيز اهتمام القادة العرب على المخاطر الرئيسية التي تواجه الامة ويكشف مسبباتها ويدعو للقاء والتضامن حول المهام القومية الكبرى .

ولقد استطاع القائد الاسد في القمة غير العادية الاخيرة ، والتي عقدت في ظروف صعبة ومعقدة ،استطاع التغلب على العقبات

ومواجهة النشاط الاميركي المسموم قبيل المؤتمر واثناء انعقاده ، النشاط الذي يهدف للضغط على الدول العربية مجددا ، واستطاع الرئيس الاسد ، خلق المناخ الملائم ليعود التضامن العربي الى مساره الصحيح ، وبالتالي خرجت القمة بقرارات تعزز هذا التضامن الى الحد الممكن ، ولكن ماكاد القادة العرب يغادرون عمان ، حتى توالت اعادة العلاقات الدبلوماسية ثنائيا بين عدد من الدول العربية والنظام المصري بالرغم من ان مهادنة الكامب واعادة العلاقات مع نظام الكامب عملان متساويان في الخطورة ، متوازيان في الايذاء القومي . وهذا العمل يتم رغم انه لم يتغير شيء في سلوك نظام الكامب والتزاماته تجاه (اسرائيل) بل زادت هذه الالتزامات عما كانت عليه ايام السادات .

لقد ظهر تاثير القائد الاسد واضحا في تركيز الجهود على الصراع العربي – الاسرائيلي ، وافشال المحاولات التي استهدفت اعادة النظام المصري الى الجامعة العربية مكبلا بقيود كامب ديفيد ، وعدم الانزلاق باتجاه تحويل الحرب العراقية – الايرانية الى حرب عربية فارسية ، والتركيز على الخطر الناجم عن وجود الاساطيل الاطلسية في الخليج العربي ، والتاكيد على اهمية اقامة التوازن الاستراتيجي في اطار تضامن عربي فعال قادر على مواجهة الخطر الصهيوني ، والاعتراف بدور سورية في لبنان وجهودها في مساعدة الاطراف اللبنانية على تحقيق المصالحة الوطنية .

وفي ذكرى الحركة التصحيحية سجل القائد الاسد في قمة عمان عملا ايجابيا جديدا ، وبرز من جديد دور سورية ودور قائدها عاملا حاسما في تماسك الوضع العربي وانقاذه من الانزلاق نحو متاهات خطيرة لامصلحة للعرب بها ......

تشرين التضامن العربي والانتصار الكبير..

الرفيق: عدنان مسلم

قال الرفيق الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي في خطابه بالمؤتمر القطري الثامن للحزب .

التضامن العربي الذي تريده سورية العربية وتناضل من اجله هو التضامن على اساس معاد للامبريالية والصهيونية ، لاعلى اساس موال للامبريالية والصهيونية التضامن الذي تريده سورية وتريده الجماهير هو التضامن لتعزيز الصمود وليس تضامنا لتعزيز الاستسلام . اننا بعزم وشرف نمد يدنا الى كل من يريد تضامنا عربيا مضمونه الصمود ضد العدوان والتوسع ....

تشير قواميس اللغة الى ان مصطلح التضامن يعني التساند والتعاون والمساعدة المتبادلة والفورية عندما تدعو الحاجة الى ذلك . انطلاقا من روابط ووشائج مشتركة . وعلى الصعيد

الدولي هو اتفاق بين دولتين او اكثر على التشاور والتساند في حال اعتداء دولة اخرى على احدهما .

اما **مصطلح التضامن العربي** فتبينه موسوعة السياسة(1) بانه مصطلح شائع الاستعمال يستند في خلفيته ومنطلقه الى مبدا **وحدة الامة العربية** وضرورة التساند والتعاون فيما بين شعبها واقاليمها، ولكنه في الاستخدام الواقعي يرمز الى مفهومين منفصلين قلما يتوحدان وينسجمان .

المفهوم الاول : هو مفهوم التضامن العربي الشعبي الذي يعكس وحدة الشعور القومي العربي ، والاحساس بوحدة المصير والمصلحة الواحدة في النضال المشترك ضد اعداء الامة العربية ومعوقات تقدمها ، ومن اجل مستقبل حضاري زاهر موحد . **واما المفهوم الثاني** فهو المفهوم النظامي للتضامن العربي اي مستوى التعاون بين الدول العربية الذي ينطلق من واقع السيادات السياسية القطرية ، والمصالح المائلة للحكام لا من الشعور بضرورة توفير مقتضيات وحدة معارك الامة ومصلحتها القومية المشتركة .

وقد تجسد الخلاف بين المفهومين ابان مباحثات انشاء جامعة الدول العربية ، اذ جاءت على غير الصورة التي ارادتها الجماهير العربية وقواها النضالية الطليعية ، بل جسدت المفهوم الثاني وعملت على تصليب جدران التجزئة العربية ، فلم يعد التضامن العربي مدخلا لتحقيق الوحدة العربية ، بل بديلا نظاميا منها ، وقد اثبت التضامن النظامي فشله التام في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، حيث كان ستارا لاتباع كل نظام خطته الخاصة واهدافه الضيقة الامر الذي اضعف الصف العربي وادى الى الهزيمة والكارثة . ومن هنا اشتد ساعد النضال الشعبي وارتفعت حدة التضامن الجماهيري العربي ، فخاض الشعب العربي في اقطار عديدة معارك

(1) انظر موسوعة السياسة – الجزء الاول – ص ٧٦٠.

ضد حلف بغداد والسيطرة الاجنبية **ونشبت الثورة الجزائرية ، وخاضت مصر حربا ضد الغزو البريطاني – الافرنسي ، وامم عبد الناصر قناة السويس .. وقامت ثورة حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العربي السوري .**

غير ان التضامن العربي الشعبي بقي الى حد كبير دون **تنظيم** قومي جامع يضمن القدرة على تعبئته واستخدامه **لتحقيق الفعالية** القصوى . وراحت مؤتمرات القمة العربية **تلجا الى هذا النوع** من التضامن (النظامي) لتغطية العجز العربي .

والواقع ان متابعة مؤتمرات القمة العربية تدل على ان التضامن العربي النظامي لم يعط سوى نتائج محدودة وغير هامة حتى عام ١٩٧٣ ، عندما ادى التضامن العربي المحدود الى شن حرب تشرين، والتي لعب التضامن العربي الشعبي دورا بارزا في تصعيد وتيرة الصراع وتعميقه وامتداده ليشمل الساحة العربية كلها .

من هنا تبرز اهمية التضامن العربي الشعبي الذي جسد مضمونه ، وحدد **ابعاده الرفيق الامين العام للحزب المناضل حافظ الاسد وفق المراحل التالية :**

اولا : التضامن العربي الذي يعني ازالة مظاهر التوتر والفرقة بين الشعب العربي ، والذي اوضحه الرفيق الامين العام للحزب في خطابه بالمؤتمر القومي الثاني عشر عام ١٩٧٥ اذ قال :

« التضامن العربي كما ارى ايها الرفاق هو اسلوب عملي او صيغة عملية تبدا بازالة كل مظاهر وعوامل التوتر والقطيعة ... وتنتهي بشكل عال من اشكال التنسيق ... »

وطبعا مبرر هذه المرحلة من التضامن هي حالة وواقع الوطن العربي ، ومنها القطر العربي السوري الذي كان يعيش انغلاقا

واضحا قبل الحركة التصحيحية في علاقاته مع البلدان العربية الاخرى .

ومن هنا كانت انتكاسات العرب في حربهم مع العدو الصهيوني **(حرب حزيران ١٩٦٧ ـ العدوان الثلاثي على مصر ـ فشل الوحدة السورية المصرية ...) .**

ثانيا ـ التضامن العربي الكفاحي وهو مستويات ويقصد به حشد كل الامكانات العربية ـ الاقتصادية ـ العسكرية ... ـ من اجل معركة التحرير لمواجهة العدو الصهيوني . اي الاستفادة من امكانات العرب كلها في مواجهة العدوان . وقد تجلت مستويات هذه المرحلة بالوقائع التالية :

أ ـ حرب تشرين ١٩٧٣ ، والتضامن العربي الملحوظ حتى تحقيق انتصار الارادة العربية . اذ كان استخدام النفط كسلاح سياسي في المعركة وقدمت بعض البلدان العربية امكانات معينة دعمت فيها المعركة مع العدو . وهنا لا بد من الاشارة الى الانحسار السريع في تحقيق التضامن العربي بعد فعلة السادات وتآمره على المعركة وعلى الانتصار المشار اليه .

ب ـ دخول القوات السورية الى لبنان تضامنا مع الشعب اللبناني لانهاء الفتنة واراقة الدماء ومن ثم لمواجهة الغزو الصهيوني الذي دنس ترابه ولا يزال .

جـ ـ التضامن العربي المتمثل باتحاد الجمهوريات العربية وجبهة الصمود والتصدي ، وغيرهما من المحاولات التي لم يكتب لها تحقيق ابعاد هذا التضامن بفعل عدم ممارسة مضمون التضامن ميدانيا من قبل بعض الجهات التي سعت اليه .

د ـ ولا بد من الاشارة ايضا في هذا الصدد الى مسالة التضامن العربي الخادع الذي يطرح من قبل بعض الانظمة العربية ، وهو التضامن العربي النظامي وليس الشعبي كما بينا سابقا . والذي

يظهر هنا او هناك من خلال افتعال معارك هامشية تضعف من قدرة المواجهة العربية الرئيسية ضد العدو الصهيوني كما هو الحال في الحرب العراقية الايرانية وتبعاتها المؤثرة تصاعديا ، او تضامن الاستسلام الذي يراد له تغطية الصفقات المتخاذلة كما هو الحال بالنسبة لمصر المكبلة بقيود هذه الصفقات . والذي اشار اليه الرفيق الامين العام في الخطاب المذكور ذاته قائلا :

« وشان سورية عبر التاريخ كان دائما اللقاء مع مصر والتضامن مع مصر ، ولكن هذا التضامن كان دائما تضامنا كفاحيا ضد الغزاة ، ولم يكن ابدا بعكس ذلك ، ونحن الان نريد التضامن مع مصر التاريخ مصر الكرامة ، والكبرياء مصر القوة الابية التي كانت في الماضي طليعة المناضلين ضد كل غزو تعرضت له امتنا العربية فنحن نريد ان نلتقي مع مصر التاريخ **ولا نريد ان نلتقي مع مصر (كامب ديفيد) وعندما نقول نريد مصر دون (كامب ديفيد) لانطلب معجزات ولا نطلق مزايدات كما يحلو لبعضهم وكما سمعت في بعض خطبهم انما نطلب فقط ان تظل مصر كما كانت دورا تاريخيا قوميا نضاليا طليعيا رائدا بالنسبة للامة العربية ... اما من اراد مصر غير ذلك ، من اراد مصر ذليلة خانعة ، غارقة في مستنقع (كامب ديفيد) تقف الى جانب « اسرائيل » في كل مؤتمراتها ونياتها التوسعية في المنطقة من اراد مصر كذلك ، ومن اراد ان يتضامن مع مصر هذه فليذهب الى جهنم ويحترق بنفسه ولن نحترق معه ابدا ....**

ثالثا ـ التضامن العربي الذي يجسد المستوى العالي من اشكال التنسيق كما اشار الرفيق الامين العام للحزب ، والذي من خلاله يمكن دخول ابواب المحاولات الوحدوية الجادة التي تعد خطوات متقدمة في تحقيق التضامن العربي الشعبي .

وجدير بنا هنا العودة الى خطاب **الرفيق الامين العام** المشار اليه سابقا لنعرج على مسالة هامة في التضامن العربي ، وهي الرؤية

الشاملة للتضامن العربي الواقعي الذي يطلب له ان يكون على ارض الواقع العربي . اذ قال :

« ان التضامن العربي هو صيغة من صيغ العمل تبدأ بازالة مظاهر وعوامل التوتر والقطيعة وتنتهي بشكل عال من اشكال التنسيق . هكذا ارى التضامن العربي . وفي ظل هذه الرؤية نعمل لتحقيق التضامن العربي . ونساهم في تحقيقه . نحن في معركة والامة تواجه خطرا .. فلمن تلجأ الامة وهي تواجه الخطر ؟ اذا لم تلجأ الامة العربية لابنائها لمن تلجأ بمجموعها او باجزائها عندما تتعرض للخطر ؟ انها تلجأ لنفسها ، ... وهذه ليست سنة اتينا بها نحن انما في اطار الامم المختلفة وليس في اطار الانظمة المتماثلة وحدها ، وانما في اطار الانظمة المتناقضة جذريا . ولادامي لان نأتي بالكثير من الامثلة يكفي مثال واحد صادق يعرفه كل انسان ، في الحرب العالمية الثانية حاربت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في جبهة واحدة ضد المانيا وضد النازية في المانيا ، وهما امم مختلفة متناقضة .. » .

واخيراً سيبقى التضامن العربي حقيقة افرزتها بشكل جدي وملموس حرب تشرين التحريرية التي كانت اروع انجازات الامة العربية في تاريخها الحديث ، والتي اظهرتها كما ينبغي لها ان تكون امة قادرة على توحيد كلمتها وجمع صفوفها وحشد امكاناتها .

معركة مصير القرار ٣٣٧٩ المساوي بين العنصرية والصهيونية..

الرفيق : د. جورج جبور

نص القرار :

بعد معركة طويلة في اللجنة الثالثة للجمعية العامة للامم المتحدة طيلة اسابيع اقرت الجمعية يوم ١٠-١١-١٩٧٥ باغلبية -٧٢- صوتا ومعارضة -٣٥- وامتناع -٣٢- عضوا عن التصويت القرار -٣٣٧٩- وهذا نصه :

ان الجمعية العامة ،

اذ تشير الى قرارها ١٩٠٤ (د — ١٨) المؤرخ في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣ ، الذي اصدرت فيه اعلان الامم المتحدة للقضاء على جميع اشكال التمييز العنصري ، بوجه خاص الى تأكيدها « ان اي مذهب يقوم على التفرقة العنصرية او التفوق العنصري مذهب خاطىء علميا ومشجوب ادبيا وظالم وخطر اجتماعيا ، والى اعرابها عن القلق الشديد ازاء مظاهر التمييز العنصري التي لاتزال ملحوظة في بعض مناطق العالم ، وبعضها مفروض من بعض الحكومات بواسطة تدابير تشريعية او ادارية او غيرها » ،

وإذ تشير ، أيضاً ، الى أن الجمعية العامة قد أدانت في قرارها ٣١٥١ زاي (د – ٢٨) المؤرخ في ١٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٣ ، جملة أمور ، التحالف الآثم بين العنصرية بأفريقيا الجنوبية والصهيونية .

وإذ تحيط علماً بإعلان المكسيك بشأن مساواة المرأة ومساهمتها في الإنماء والسلم ، ١٩٧٥ ، المعلن من قبل المؤتمر العالمي للسنة الدولية للمرأة ، الذي عقد في مكسيكو في الفترة من ١٩ حزيران (يونيو) الى ٢ تموز (يوليو) ١٩٧٥ ، والذي أعلن المبدأ القائل بأن « التعاون والسلم الدوليين يتطلبان تحقيق التحرر والاستقلال القوميين ، وإزالة الاستعمار الجديد ، والاحتلال الأجنبي ، والصهيونية ، والفصل العنصري (ابارتيد) والتمييز العنصري بجميع أشكاله ، وكذلك الاعتراف بكرامة الشعوب وحقها في تقرير المصير » .

وإذ تحيط علماً أيضاً ، بالقرار ٧٧ (د – ١٢) الذي اتخذه مجلس رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية في دورته العادية الثانية عشرة المعقودة في كمبالا في الفترة من ٢٨ تموز (يوليو) الى ١ آب (أغسطس) ١٩٧٥ ، والذي رأى « **أن النظام العنصري الحاكم في فلسطين المحتلة والنظامين العنصريين الحاكمين في زمبابوي وافريقيا الجنوبية ترجع الى أصل استعماري مشترك ، وتشكل كياناً كلياً ، ولها هيكل عنصري واحد ، وترتبط ارتباطاً عضوياً في سياستها الرامية الى اهدار كرامة الانسان وحرمته** » .

وإذ تحيط علماً ، أيضاً ، بالإعلان السياسي واستراتيجية تدعيم السلم والأمن الدوليين وتدعيم التضامن والمساعدة المتبادلة فيما بين دول عدم الانحياز ، اللذين تم اعتمادهما في مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز المنعقد في ليما ، في الفترة من ٢٥ الى ٣٠ آب (أغسطس) ١٩٧٥ ، واللذين أدانا الصهيونية بأقصى شدة بوصفها تهديداً للسلم والأمن العالميين وطلبا الى جميع البلدان مقاومة هذه الايديولوجية العنصرية الامبريالية .

تقرر أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري . »

(انتهى)

١ – نظرة في نص القرار :

١ – للقرار خمس حيثيات ممتدة زمنياً في مدى يقرب من –١٢– عاماً ، تبتدىء من تشرين الثاني ١٩٦٣ وتنتهي في آب ١٩٧٥ . إلا أن الحيثيتين الأولى والثانية متباعدتان في حين أن الحيثيات الثلاث الأخيرة متقاربة . كذلك يلفت النظر في الحيثيتين الأخريين أنهما ليستا من تراث الأمم المتحدة بالذات بل هما من أفريقيا ومن عدم الانحياز .

٢ – يلاحظ أن الحيثية الرابعة هي الأعمق في تحديد طبيعة الصهيونية

والأسباب التي عليها يعتمد في وصفها بالعنصرية ، تليها في العمق الحيثية الخامسة فالثالثة فالثانية المتبنية سبباً للعنصرية التحالف بين الصهيونية مع جنوب افريقيا .

٣ – ليس في الحيثيات أية اشارة مهما بعدت الى اليهودية ولا الى اليهود كمجموعة اجتماعية متميزة ، ولا الى تحالف الصهيونية مع النازية .

٤ – لاذكر اسرائيل مطلقاً في القرار بل يستعاض عنها في الحيثية الرابعة بأنها « النظام العنصري الحاكم في فلسطين » – **وهكذا فالقرار يمكن أن يفسر في حيثياته على أنه يسحب الشرعية من كلمة « اسرائيل »** بالذات – ثم ان هذا التعبير القادم من مجلس رؤساء ودول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية – وهو « **القيم الأخلاقي** » على توصيف ماهو عنصري – انما يمثل فتحاً سياسياً وايديولوجياً ضخماً ، لكنه يبقى كذلك بالقوة .

٥ – ورغم اختصار الفترة العملية الوحيدة للقرار فهي حازمة باطلاقها لم تفرق بين الايديولوجية الصهيونية والحركة الصهيونية وهي بهذا تشمل الأمرين معاً ، كما لايحد من اطلاق تفسير الصهيونية القول بأنها « **شكل من أشكال** » ، فمن المستحيل على أية ايديولوجية أو حركة عنصرية أن تحتكر ودفعة واحدة كل أشكال العنصرية .

٢ – نظرة في ظروف تبني القرار :

من المؤكد أن القرار ماكان له أن يتم تبنيه لولا حرب تشرين وما أظهرته من قوة عربية من جهة وما أتت به من ارتفاع في السيولة المالية العربية من جهة ثانية . واذا كانت أهم حيثية في القرار هي الحيثية الافريقية (أي الرابعة) فالمعنى السياسي لما تقول هو أن الدول الافريقية كانت اذ ذاك مازالت تأمل في تدفق المعونات المالية العربية اليها . ثم أن القرار حظي بتأييد كل الدول العربية ومنها مصر رغم أن مصر كانت قبل التصويت بوقت قصير ارتبطت بما يعرف باسم اتفاقية سيناء الثانية وما فيها من بنود علنية وسرية مهادنة لاسرائيل . وفي تقديرنا أن النظام المصري أدرك عجزه عن مقاومة الشعور العربي العام بالقوة فوافق على القرار ، وفي مسار ذلك الشعور العربي العام بالقوة تبنت الجمعية العامة قراراً بتشكيل لجنة لتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه المشروعة . **ومما يذكر أيضاً أن القطر العربي السوري استطاع بعد ثلاثة أسابيع من تبني القرار –٣٣٧٩– ، وبالتحديد في ٣٠–١١–١٩٧٥ استصدار القرار رقم – ٣٨١ – من مجلس الأمن بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى كل اجتماع تعقده الأمم المتحدة بشأن قضية فلسطين .** وهكذا فظروف تبني القرار كانت ظروف قوة عربية عالية اذ لم تكن حرب لبنان قد أحدثت بعد شرخاً في العلاقات بين الدول العربية (سيحصل في منتصف عام ١٩٧٦) ولم يكن الجنوح الساداتي قد بلغ بعد حداً تجاوز حدود المعقول (كما منذ خريف عام ١٩٧٧) ، وبالطبع فمنذ خريف ١٩٧٧ صار من المستحيل التفكير جدياً في تصعيد القرار .

٣ — مشتقات القرار لو استخرجت :

مشتقات القرار الموجودة فيه بالقوة كان ينبغي استخراجها لتصبح مشتقات فيه بالفعل . اولها قرار منع الهجرة الى فلسطين وهو امر تحقق بمثله جنوب افريقيا منذ عام ١٩٦٨ بموجب الفقرة —١١— من القرار ٢٣٩٦ (٢٢) ونصه كما يلي :

« تطلب الجمعية من كل الدول وقف (او عدم تشجيع) تدفق المهاجرين لاسيما منهم العمال الفنيون والمهرة الى جنوب افريقيا » .

ومطلب منع الهجرة الى فلسطين له تاريخ حافل يعود الى اواخر القرن التاسع عشر ، مشيرا بذلك فيما عليه الحال في جنوب افريقيا . وهكذا لمنع الهجرة الى فلسطين اسبابه المفهومة دوليا ومنذ زمن ، حتى ان بريطانيا نفسها لجأت اليه في مراحل مختلفة من ادارتها الوضع في فلسطين . وفي رأينا ان استصدار قرار بمنع الهجرة مطلوب دائما . ولا ريب ان مثل هذا القرار سيأتي مناسبا جدا للمصلحة السوفيتية بشكل خاص ، بالاضافة طبعا لمناسبته للمصلحة العربية .

ثم ان من مشتقات القرار —٣٣٧٩— اخضاع قانون العودة الاسرائيلي الى رقابة الامم المتحدة ، وهذا القانون هو الوجه المقابل لمسألة منع الهجرة .

واذ يفتح مجال الرقابة الدولية على القوانين الاسرائيلية الداخلية على الرغم من « شرط الاختصاص الداخلي » (المادة ٢/٧ من ميثاق الامم المتحدة) فمعنى ذلك فتح طريق تمضي بها الصهيونية على نحو ما مضى بها الابارتايد ، طريقا تقود في النهاية الى اعتبار **الصهيونية جريمة ضد الانسانية واسرائيل باطلة الشرعية وقرار ايجادها عام ١٩٤٧ قرار اقلية دولية باطل في معيار الامم المتحدة** الراهنة غالبية التركيب . ولنتذكر دائما ان الاكثرية التي فاز بها قرار التقسيم بالتبني انما هي اصغر من الاكثرية التي فاز بها القرار — ٣٣٧٩ — بالتبني وكلا القرارين صادر عن الهيئة ذاتها الا وهي الجمعية العامة ، تحجيمها واحدة (فنيا) ويضاف لصالح القرار — ٣٣٧٩ — التركيب العالمي لمنظمة الامم المتحدة بعضويتها الراهنة .

كل هذه المشتقات وما يتوقع انه سيأتي بعدها من بحث « علمي وعلماني » لطبيعة الصهيونية وارتباطها باليهودية وكيفية تفسير « العهد القديم » ، كان ومازال من المفترض ان تستخرج من القرار في عملية دبلوماسية وعلمية مدروسة(١) ... ولم يحصل ! .

٤ — ردود الفعل الصهيونية والامبريالية :

حاييم هرتزوغ ، مندوب اسرائيل الى الامم المتحدة ، ورئيس الدولة

(١) — راجع دراستنا القانون الدولي وقضية فلسطين وقد نشرنا خلاصة سريعة عنها في مجلة الطلائع (الناطقة بلسان منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية « الصاعقة » ، العدد — ١١١ — بتاريخ ٢-١-١٩٧٢) .

الاستيطانية حاليا ، ما كان منه لحظة صدور القرار الا ان اخذه فمزقه امام نظر الجمعية العامة اثر انهائه خطابه امامها .

تلك خلاصة معبرة عن رد الفعل الصهيوني على القرار . (٢)

ويطول بنا المقام لو اردنا تعداد ردود الفعل الصهيونية على القرار ، هذا ان تمكنا من الاحاطة بها كلها فلنكتف ببعض النماذج .

بعد صدور توصية اللجنة الثالثة اتخذ الكنيست قرارا دعا بموجبه الجمعية العامة الى رفض القرار (٣) . ثم بعد ان صدر القرار ناقشه الكنيست مع القرارات الاخرى الصادرة لصالح القضية الفلسطينية فاتخذ عددا من القرارات نشرتها الصحف الاسرائيلية الصادرة بتاريخ ١٢-١١-١٩٧٥ ومنها (ردا على القرار ٣٣٧٩) دعوته **« الشعب اليهودي في الشتات الى زيادة الهجرة الى اسرائيل ومضاعفة النشاط اليهودي الصهيوني والوقوف الى جانب دولة اسرائيل في تحقيق اهداف الصهيونية» .**

ووصف رابين وكان آنذاك رئيسا لوزراء اسرائيل قرارات الامم المتحدة بأنها تهدف الى نقض شرعية اسرائيل من الاساس وانها « مجدية من ناحية سياسية واقعية ومضمونها وتوقيتها يتنافيان مع الاتجاه الايجابي الذي تنطوي عليه التسوية المرحلية التي جرت بين مصر واسرائيل . (٥)

وبعد ايام عاد رابين فاكد ان قرارات الامم المتحدة استهدفت « صميم وجود اسرائيل » و **« ان مصير اليهود في جميع انحاء العالم اصبح معرضا للخطر من قبل ائتلاف كريه من الشارع ومنتجي النفط والكتلة الشيوعية (٦)» .**

وتراوحت تعليقات الصحف الاسرائيلية في شجب القرار بين التأكيد على ضرورة نقضه فعليا بالهجرة اليهودية الجماعية الى اسرائيل وبين التأكيد على ان طريق المصالحة مع مصر صمام الامان الحقيقي امام الدولة الاستيطانية ، ولعل من اهم

(٢) — انظر كتابه : من يقف منهما ؟ (بالانجليزية ، نيويورك ، دار راندوم ، ١٩٧٨) ويقع في ٢٧٩ ص . حادثة التمزيق يذكرها هرتزوغ بفخر في ص —١٢— من كتابه .

(٣) هآرتس ٢١-١-١٩٧٥ وفي هذه الجلسة وصف الون وزير الخارجية مشروع القرار بأنه « احد القرارات المخزية الحاقدة والاعتباطية التي اتخذتها منظمة الامم المتحدة منذ قيامها ان لم يكن القرار الاكثر خزيا وجهلا واعتباطا الى الآن » كما حذر الون من الاستخفاف بالقرار » (هآرتس ٢١-١-١٩٧٥)

(٤) عال همشمار ١١-١١-١٩٧٥ .

(٥) — عال همشمار ١٢-١١-١٩٧٥ .

(٦) — عال همشمار ١٤-١١-١٩٧٥ .

التعليقات للقرار ثلاثة مقالات ظهرت في عال همشمار تحت العناوين التالية : « يا أعداء السامية اتحدوا » و : « القرارات الثلاث أغتيال لدولة اسرائيل » و « كيف ينظرون الينا » (٧) . في المقال الأول تعبير عن القلق لأن المنظمات الصهيونية قد تعتبر في بعض البلدان باعتبارها « منظمات عنصرية » وفي الثاني تحذير للعرب من أن نتائج القرار قد تفاجئهم بشكل « مد متجدد للصهيونية في الشعب اليهودي » وبأشكال أخرى . أما المقال الثالث فتعترف كاتبته بإيمانها بأن في « أساس المزاعم العربية ضد اسرائيل التي تبدو لنا أحيانا تحريضا لمجرد التحريض قناعة عربية عميقة وحقيقية بصحة تلك الادعاءات » انما تعترف بأن « من الممكن فهم قانون العودة على انه قانون عنصري » .

اما ردود الفعل الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة فلم تكن أقل غضبا ، فسفير أمريكا في الامم المتحدة وصف القرار بأنه مخجل ومفتر على حقيقة الصهيونية ، بينما أخذت ترتد أنباء صحيفة تفيد أن الولايات المتحدة وعدت اسرائيل بمعاقبة كل الدول التي صوتت بالموافقة على القرار . (٨)

٥ — ردود الفعل العربية والصديقة :

صادف صدور توصية اللجنة الثالثة المرفوعة الى اللجنة العامة بشأن الصهيونية صادف انعقاد مؤتمر حقوقي في دمشق ، دعا اليه الاتحاد العالمي للحقوقيين الديموقراطيين للبحث في توحيد كوريا . وبفطنة متابع عربي من سورية التي أهمية التوصية التي اتخذتها اللجنة فلفت نظر رئيس المكتب المختص في القيادة القطرية، « القسيفة العليا » للمؤتمر ، الى ضرورة اصدار المؤتمرين قرارا بدعم التوصية وعقد مؤتمر حقوقي خاص بها وايضاح أبعادها وهكذا كان فأصدر المؤتمر الحقوقي لتوحيد كوريا القرار التالي :

« **دعما للنضال العادل الذي تخوضه الامة العربية ضد العدوان الصهيوني المستمر ...**

وايضاحا للطبيعة العنصرية للحركة الصهيونية من حيث هي ايديولوجية استعمار استيطاني متماثلة في جوهرها ومظاهرها مع ايديولوجية الابارتايد ، وتأكيدا للقرار الذي صدر مؤخرا عن اللجنة الثالثة ...

يوصي المؤتمر ١ — بعقد مؤتمر حقوقي عالمي لدراسة طبيعة الصهيونية من حيث هي شكل من اشكال العنصرية بما يتضمنه ذلك من دراسة قوانين الكيان

(٧) — الاول لمارك ليفن (١٢—١١—١٩٧٥) ، والثاني لمرد خاي اورن (١٤—١١—١٩٧٥) والثالث لداليا شاحوري (١٤—١١—١٩٧٥) .

(٨) — دافار في ٢٩—١٠ و ١٢—١١—١٩٧٥ وجميع الاستشهادات بالصحافة الاسرائيلية من ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية .

الاستيطاني الصهيوني وممارساته التمييزية والعنصرية .

٢ — تشكيل لجنة للمؤتمر تضم ممثلين عن اتحاد المحامين العرب والاتحاد العالمي للحقوقيين الديموقراطيين وغيرهما من الهيئات القانونية والمختصة تكون مهمتها القيام بكل ما من شأنه التحضير لعقد المؤتمر في بلد اوروبي وفي موعد يصادف احدى المناسبات المعروفة والمدانة عالميا عن عنصرية الصهيونية » . (انتهى)

وفي الصحف السورية الصادرة في ١٧—١٠—١٩٧٥ تفصيل عن الجو القومي الذي ساد المؤتمر لدى تلقيه التوصية ، كما تصدر نص التوصية نشرات أخبار الاذاعة السورية .

وتحضير لهذا المؤتمر الحقوقي عقد اجتماع في دمشق نظمته نقابة محامي القطر في ٣٠—٤—١٩٧٦ . وكنا من حضوره ولكن المؤتمر الحقوقي المنتظر لم يعقد لأسباب لسنا على أطلاع عليها وندعو عارفيها الى ايضاحها .

كذلك نشرت القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، مكتب الدعاية والنشر والاعلام ، كراسا عن الاستعمار الاستيطاني لصاحب هذه الأسطر دعما للقرار وذلك في اواخر عام ١٩٧٥ ، وهو الكراس العاشر من سلسلة التوعية السياسية وجاء في مقدمة الكراس ان صدور القرار يقتضي عملا من شقين : « الشق الاول داخل أطار المنظمة الدولية هو توسيع برامج مناهضة العنصرية لتشمل مناهضة الصهيونية الى جانب مناهضة الابارتايد . والشق الثاني .. اساسه تقديم نظرية عربية متكاملة مقنعة (اي يمكن قبولها دوليا) حول عنصرية الصهيونية علمانية في مجملها اي لا يلعب فيها الدين اليهودي دورا متميزا خاصا . هذا الاساس هو مايقوم به هذا البحث عن الاستعمار الاستيطاني » .

الا ان الحدث العربي الاهم دعما للقرار —٣٣٧٩— كان انعقاد ندوة في طرابلس بليبيا بين ٢٤ و ٢٨—٧—١٩٧٦ نجم عنها انشاء « المنظمة الدولية للقضاء على جميع انواع التمييز العنصري » .

ومن ندوة طرابلس صدر بيان أصل عنصرية الصهيونية على اساس مفهوم الاستعمار الاستيطاني ولم يتعرض من قريب او بعيد الى أية عنصرية يمكن اشتقاقها من الديانة اليهودية .

كذلك أصدرت الندوة قرارا بتأسيس « المنظمة الدولية للقضاء على جميع أنواع التمييز العنصري » (وتعرف **بمختصرة الانجليزية باسم ايفورد**) ومقرها نقابة المحامين بليبيا ويكون هدف المنظمة :

« العمل بجميع الوسائل المتاحة في القضاء على سائر انواع التمييز العنصري في كل مكان وخاصة الصهيونية (والابارتايد) والعمل على تنظيم جهود المناضلين في هذا السبيل بقصد توفير قسط اكبر من الفعالية .

تميزت يفورد منذ نشأتها بنشراتها الكثيرة الجدية ذات المستوى الفكري والطباعي العالي كما استطاعت أن تفوز بوضع استشاري من الصنف الاول في المجلس الاقتصادي والاجتماعي وهو أمر لا يهتم له – وتستطيعه بسهولة – مؤسسات عربية غير حكومية كثيرة تمتاز بالكسل وبطانة الوعي الدولي . ومؤخرا تلقيت من ايفورد اعلانا من مجلة تصدر قريبا في واشنطن مرتين في العام بعنوان without prejudice . ويحز في النفس أن مكتب المنظمة الرئيسي في طرابلس علاء الغبار (وانحدث عن الطباعي حسين زرته آخر مرة عام ١٩٨٢ وترأسه اديب مرهف هو الكعباري) بينما انطلق محلقا مكتبها الاوروبي في لندن الذي انتقل مؤخرا الى جنيف وذلك بفضل الصديق اليس القاسم .

واخيرا تسجل يد نعل عربي جدي آخر هو تلك الندوة التي انعقدت في بغداد بين ٨و١٢–١١–١٩٨٦ بمناسبة الذكرى الاولى لصدور القرار وجمعت اعمالها في مجلدين وصدر تلخيص لاعمالها عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الاهرام في كانون ثاني ١٩٧٧ .

وربما كان هذا التلخيص الذي صدر في القاهرة كل ما انتجته القاهرة بهذا الصدد . ولا ريب ان انحدار القاهرة الى مكان رابع بين العواصم العربية في الاحتفاء بالقرار مؤشر الى الفعالية العملية لاتفاقية سيناء الثانية وتذير بما سيدهم عاصمة الكنانة في خريف عام ١٩٧٧ .

وختاما ينبغي القول انه لا تتوفر لنا اية معلومات عن فعاليات جامعة الدول العربية دعما للقرار في الفترة منذ صدوره وحتى انتقال الجامعة من مقرها المصري ، كذلك لايتوفر لدينا الا القليل من المعلومات عن نشاطات الاتحادات المهنية العربية في هذا الشأن سوى ما كان له اتصال بنا ونذكر :

١ – نشر اتحاد المحامين العرب في القاهرة ضمن اعماله في مؤتمره بتونس عام ١٩٧٦ محاضرة لنا كنا القيناهـا بدعوة من نقابة محامي دمشق عام ١٩٧١ . لم يسألنا أن تنقحها ولم يسألنا اذنا بنشرها بل نشرها كما هي مع مقدمة مريعة بما كنا كتبناها لغير مناسبة النشر . هذه المحاضرة تحولت مؤخرا وبشيء من التوسيع الى كتاب ظهر في دمشق بتوقيع أحد نقباء المحامين السابقين .

٢ – طلب الينا السيد ابو النصر الالفي ، الامين العام لاتحاد المعلمين العرب في القاهرة برسالة مكتوبة تقديم بحث عن القرار في ندوة تعقد بالجزائر واجبنا بالايجاب ثم انقطع الاتصال وكان ذلك عام ١٩٧٧ .

ويقابل جهلنا لفعاليات الاتحادات المهنية العربية ازاء القرار ، لدينا بعض

وثائق من منظمة تضامن الشعوب الافريقية – الاسيوية تسجل ردود فعلها ومن المناسب استعراضها لها هنا كنموذج كما يلي :

في أول فعالية قامت بها منظمة التضامن بعد صدور القرار ٣٣٧٩ وهو الاجتماع الثالث للهيئة الرئاسية (عدن ١٩ – ٢٠–١–١٩٨٦) نجد فقرتين تخصان موضوعنا . الفقرة الاولى يدين بها الاجتماع « الانظمة العنصرية في جنوب افريقيا وناميبيا وزيمبابوي باعتبارها وصمة عار في جبين القارة الافريقية » . ، اما الفقرة الثانية فخاصة بالقرار –٣٣٧٩– ونصها كما يلي :

« يؤيد الاجتماع قرار الامم المتحدة بادانة الصهيونية باعتبارها نظرية وحركة عنصرية ويعتبر هذا القرار انتصارا دوليا للشعب فلسطين .. ويهيب الاجتماع بالسكرتارية الدائمة ان تزيد من دعايتها ونشاطها العالي في ادانة الصهيونية وفضح اهدافها العنصرية وارتباطاتها الامبريالية » (٩) .

ورغم وضوح مقاصد الفقرة الثانية ، ورغم ان الفقرة الاولى مقتطفة من جزء البيان الخاص بافريقيا الا انه كان من الافضل في رأينا ايراد اسم اسرائيل اولا او ثانيا في اسماء بلاد الانظمة العنصرية حتى يترسخ الايمان بعنصرية الصهيونية واسرائيل .

اما الاجتماع الرابع للهيئة الرئاسية (برازافيل ٢٧ – ٣٠–٦–١٩٧٦) فشان عنصرية الصهيونية به ادنى لا يتعدى هذه الكلمات :

« تدعو الهيئة الرئاسية الى دعم النضال ضد المعتدين الاسرائيليين وضد الصهيونية التي ادانتها الامم المتحدة باعتبارها نوعا من العنصرية » . (١٠)

اما المؤتمر الدولي الطارىء تأييدا لكفاح الشعب الفلسطيني والقوى الوطنية اللبنانية » (اثينا ١١–١٢–١٢–١٩٧٦) فقد ورد به النص التالي :

« يحيي المؤتمر قرار الامم المتحدة باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصري ويدين اساليب التفرقة العنصرية التي تمارسها قوى الاحتلال الصهيونية ضد المواطنين العرب في فلسطين والاراضي العربية المحتلة » . (١١)

---

٩ – ١٠/ عاما : منظمة تضامن الشعوب الافريقية – الاسيوية : تحليل ووثائق (القاهرة ، مطبوعات افريقية اسيوية رقم ٩١ ، ١٩٧٧) ٣٥٧ صفحة والمقتطف في ص ٢٨٢ و ٢٨٤ .

(١٠) – م.س . ص ٣٠٢

(١١) – م.س ص ٣٢٣

وفي الاجتماع الخامس للهيئة الرئاسية (كوتونو ، بنين ، ٢٦—٢٧—٣—١٩٧٧) نفتقد أية اشارة الى القرار — ٣٣٧٩ — بل تجد الهيئة الرئاسية « تعبر عن القلق والسخط العظيم من اسرائيل الفاشية العنصرية في مواصلـــة التغيير الديموغرافي والاضطهاد والقمع والتمييز الذي تمارسه ضد جماهير الشعب العربي الفلسطيني في جميع الاراضي العربية المحتلة .

وقد أوضح مؤتمر القمة الافريقي (١٢) الاول بحق الروابط بين اعضـــاء المجموعة الامبريالية الصهيونية العنصـــرية وهي حلقة يشكلها محور تل ابيب وبريتوريا وواشنطن .. (١٣)

ثم اذا نظرنا الى قائمة مطبوعات منظمة التضامن الصادرة بعد صدور القرار — ٣٣٧٩ — (وهي التي تبتديء بالمطبوعة رقم —٧٦— من انغولا في عام ١٩٧٦ وتنتهي بالمطبوعة رقم —٩١— وهي مصدرنا في حزيران ١٩٧٧) لما وجدنا أية مطبوعة مخصصة للبحث في عنصرية الصهيونية او الايديولوجية الصهيونية . والحق انه ليس في الـــعدا— مطبوعة المثبتة في تلك الفترة الا مطبوعة واحدة مخصصة للقضايا العربية الا وهـــي المطبوعة رقم —٨٩— وعنوانها « وثائق المؤتمر الدولي الطارىء للتضامن مع شـــعب فلسطين والقوى الوطنية اللبنانية » (اثينا ١٢—٢٢—١٢—١٩٧٦) . وهكذا فـــاذا حكمنا على منظمة التضامن من مطبوعاتها وجدنا انها لم تنفذ على نحـــو متميز قـــرار الاجتماع الثالث للهيئة الرئاســـية (عدن ١٩ — ٢٠—١—١٩٧٦) الذي « يهيـــب بالسكرتارية الدائمة ان تزيد من دعايتها ونشاطها فالعالمي في ادانة الصهيونية وفضح اهدافها العنصرية وارتباطاتها الامبريالية » .

٦ — مصير القرار ٣٣٧٩ : معركة بكل اتساع العالم وبكـــل عمق الفكر :

بعد صدور القرار —٣٣٧٩— كان ثمة تهديد باعدامه تبلور في الذكرى العاشـرة لصدوره ، وحدد في هذه الذكرى عام ١٩٩٠ حدا اقصى للنجاح في عملية الاعـدام . ولعل في توقيت بدء عملية الاعدام ونهايتها علاقة بمشاعر شخصية لدى حاييم هرتزوغ الذي كان سفير بلاده في الامم المتحدة لدى صدور القرار فمزقه وهو الان كرئيس للدولة الاستيطانية يود ان يجعل تمزيقه الرمزي السابق للقرار تمزيقا فعليا له يقوم بـــه العالم كله .

(١٢) هكذا ورد في المصدر واظنه خطا فقد اريد القول : « مؤتمر القمة العربي — الأفريقي الاول » — الذي عقد قبل ثلاثة اسابيع من عقد الاجتماع الخامس للهيئة .

(١٣) — م.س.ص ٢٣٠

واهم مراحل معركة المصير هذه حتى الآن هي حسب علمنا الخمس التالية :

١ — تموز ١٩٨٥ : اتخذ الكونغرس الامريكي قرارا يطالب به الحكومـــة الامريكية بذل كل مافي وسعها لالغاء القرار ٣٣٧٩ . هذا وليس لدينـــا النص الحرفي للقـــرار .

٢ — ٢٤—١٠—١٩٨٥ : في الاحتفال بالذكرى الاربعين للامم المتحدة وجه ريغن رسالة الى المنظمة الدولية ذكر فيها ان القرار ٣٣٧٩ ابشع قرار اتخذته الامم المتحدة في كل تاريخها وطالب بالغائه .

٣ — ١٠—١١—١٩٨٥ : سفير اسرائيل لدى الامم المتحدة والامين العام للمنظمة الصهيونيـــة العالمية سلما الامين العام للامم المتحدة عريضة موقعة مـــن نحـــو — ٨٠٠ — شخصية تطالب بالغاء القرار .

٤ — ٢٢—١٠—١٩٨٦ : اتخذ البرلمان الاوسترالي في ذلك اليوم قرارا (يلـــي نصه) اراد بتوقيته ان يكون تعبير مودة خاصا ازاء حاييم هيرتزوغ الذي كان مـــن المقرر له ان يزور اوستراليا بعد ايام — وقد زارها — :

« ١ — ان قرار الجمعية العامة للامم المتحدة ذي الرقم —٣٣٧٩— (٣٠) الذي يساوي الصهيونية بالعنصرية :

أ — لم يكن مساعدا (او : ايجابيا) في اطار البحث عن تسوية في الشـــرق الاوســـط .

ب — يتعارض (او لاينسجم) مع ميثاق الامم المتحدة .

جـ — يظل غير مقبول من حيث انه تشويه للصهيونية .

د — ساهم في اذكاء العداوة الدينية والتحريض على اللاسامية .

٢ — يوصي الحكومة بتقديم دعمها للجهود الرامية الى نقض (او : عكس ، او قلب) القرار / ٣٣٧٩ / (٣٠) في الامم المتحدة . » (١٤) .

٥ — ٣٠ / ١٢ / ١٩٨٦ : رسالة من سفير امريكا لدى الامم المتحدة الى الامين

(١٤) — من الطريف المحزن في العمـــل السياســـي العربـــي ان رئيس وزراء اوستراليا فورا بعد اتخاذ هذا القرار دعي لزيارة بعض الدول العربية .

كمـــا ان احـــد الاتحـــادات العربية المهنيـــة الفكرية في قطرنا اصـــدر عددا خاصا عن اوستراليا يحفل بصدوره العديد من معاني التكريم لذلك البلد .

العام يهاجم بها القرار ويرفق مع هجومه عليه نص قرار الكونغرس الامريكي في تموز ١٩٨٥ بادانته ويعرب عما يشعر به الشعب الامريكي من بغض تجاه اية محاولة لربط الصهيونية بالعنصرية . وبناء على طلب سورية عقدت المجموعة العربية اجتماعا سميت به لجنة لمتابعة الموضوع كما ورد في الصحف السورية بتاريخ ١٨ / ١ / ١٩٨٧ . هذه المراحل التي قطعت حتى الآن لاتعني الكثير ، ولكنها قد لاتكون كل شيء فليس لدينا القدرة لمتابعة كل شيء .

وعلى الجانب العربي وفي ١٠ / ١١ / ١٩٨٦ اعلنت مجموعة مهتمين عرب مقيمين في دمشق انشاءها « لجنة عربية لدعم القرار /٣٣٧٩/ » ونشرت بيانا في الصحف السورية والعربية يظهر اهمية مانقوم به .

وقاد الجانب العربي لتصدي الرفيق الامين العام للحزب الرئيس حافظ الاسد للحملة فكرس جزءا كبيرا من خطابه الهام في مؤتمر القمة الاسلامي (كانون ثاني ١٩٨٧) لتبيان معاني عنصرية الصهيونية ولحث المؤتمر على دعم القرار . وبنتيجة خطاب الرئيس الاسد اتخذ مؤتمر القمة الاسلامي الخامس القرار التالي :

« اكد المؤتمر مجددا ان الصهيونية ، هي شكل من اشكال العنصرية والتمييز العنصري طبقا لقرار الجمعية العامة رقم ٣٣٧٩ (د – ٣٠) لعام ١٩٧٥ م وقرر ان تقوم الدول الاسلامية بتنسيق جهودها في الامم المتحدة لمواجهة الحملة الامريكية الاسرائيلية لالغاء هذا القرار » .

ولا ريب ان دفاع الرئيس الاسد عن القرار وما نجم عنه من نجاح في جعل مؤتمر القمة الاسلامي يتخذ قرارا بدعمه انما يعني فتح صفحة جديدة في العمل الجدي لتثبيت القرار .

ثم في نيسان ١٩٨٧ عقد المؤتمر السادس عشر لاتحاد المحامين العرب في الكويت وفيه اقترح الوفد السوري على المؤتمر اتخاذ قرار بالتأكيد على القرار / ٣٣٧٩ / فوافق المؤتمر .

واخيرا فقد اتخذ مجلس جامعة الدول العربية في دورته رقم /٨٨/ والذي اختتم اعماله يوم ٢٢ / ٩ / ١٩٨٧ قرارا يطلب به من الدول الاعضاء « التصدي للمحاولات الامريكية والصهيونية الرامية الى الغاء القرار / ٣٣٧٩ / الذي يعتبر الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية » (١٥) .

---

(١٥) – الصحف السورية بتاريخ ٢٤ / ٩ / ١٩٨٧ .

اذن فالمعركة الآن في مدها الاعظم او المتعاظم حسبما ستتكشف عنه التطورات . فما هي خواصها ؟

الخاصية الاولى هي انها معركة بكل اتساع العالم ، يدل على ذلك بشكل مثير قرار برلمان اوستراليا . من في اوستراليا يدرك بدقة الوضع في منطقتنا ؟ من منها يهتم حقا ؟ ومع ذلك فقد اختيرت اوستراليا مسرحا للمعركة وهي الابعد . العالم كله اذن مسرح للمعركة .

والخاصية الثانية انها معركة بكل عمق الفكر . فقائمة المواضيع المثارة فكريا بشأن القرار ، بالقوة ، وبالفعل ، عميقة تختلط بكل التاريخ الانساني ، جملة وتفصيلا : كيف تفسر النصوص الدينية ؟ كيف تفسر تفرد مايدعى بالشعب اليهودي؟ كيف تصالح بين العهدين القديم والجديد ؟ الخ (١٦) .

ثم ان ثمة مجموعة خواص اخرى لهذه المعركة . الصهاينة وحلفاؤهم يحاولون جعلها معركة الديموقراطيات ضد الديكتاتوريات . ولمة من يرى فيها وبحق معركة العالم الجنوبي المتحالف مع المعسكر الاشتراكي ضد الغرب الامبريالي . ثم ان الساحة ليست خالية ممن يرون فيها مناسبة للطعن باليهودية (على نحو قد يفيد الصهيونية) . وبالطبع فمن جملة مايود الصهيونية ومن وراءها الوصول اليه عبر المعركة اضعاف الامم المتحدة وعالمها لان التنظيم الدولي – حين يصبح كما هو الآن – انما هو ثورة على المافيا الصهيونية العاملة في الظلام والمستفيدة من الفوضى .

كيف نتوقع حصيلة المعركة ؟ خاسرة بالتأكيد ضمن المعطيات الراهنة . فنيا على اسرائيل ان تحول دون صدور قرار باعتبار موضوع الالغاء امرا هاما يتطلب اكثرية الثلثين . مثل هذا القرار بالاهمية يصدر باغلبية بسيطة (المادة / ١٨) الفقرة /٣/ من الميثاق) اي انه متيسر للعرب واصدقائهم ومقنع الى ابعد حد بالمنطق السليم .

على ماذا تراهن اسرائيل اذن وماذا تريد حقا ؟ ثمة بعض افتراضات نقدمها هنا :

---

(١٦) – انظر بحثنا المنشور في الثورة الدمشقية (يومي ٣ و ٤ / ١٢ / ١٩٨٦) بعنوان « مصير القرار ٣٣٧٩ الذي يساوي بين الصهيونية والعنصرية : معركة بكل اتساع العالم وبكل عمق الفكر » اعيد نشر المقال في مجلة البرلمان العربي (فصلية تصدرها الامانة العامة للاتحاد البرلماني العربي بدمشق) السنة السادسة العددان ٢٦ و ٢٧ ، ايلول وكانون اول ، سبتمبر وديسمبر ١٩٨٦ ص ٩٥ – ١٠٤ .

١ – موضوع القرار /٢٢٧٦/ له طابع عاطفي طاغ في اسرائيل وفي الدوائر الامبريالية . هذه العاطفية قد تكون سببا في حجب جانب من التفكير المنطقي والبراغماتي الذي اشتهرت به الصهيونية . ولا غرو فالتيارات اليمينية الى ازدياد في الكيان الاستيطاني ، والشعور المتزايد بالعزلة في اسرائيل بعد انتصارات المقاومة اللبنانية قد يكون له أثر تأجيج هذه العاطفة والبحث لها عن مخرج رآه البعض في الغاء القرار / ٣٣٧٩ / . ثم ان ارتباط مشاعر هيرتزوغ الشخصية بالموضوع قد يكون له اثره اللاعقلاني في هذه الحالة .

٢ – كما جرى في عام ١٩٧٧ تتوقع اسرائيل انهيارات كبرى في جدار المقاومة العربية لكامب – ديفيد والتناقض بين القرار وبين التوقعات من اتفاقية سيناء الثانية امر اتينا على ذكره اعلاه . والحق ان السؤال الكبير هنا هو : ماذا سيكون موقف النظام المصري اذا طرح الموضوع على الامم المتحدة ! في القمة الاسلامية بالكويت لم اسمع بتحفظ مباركي على قرار القمة بدعم القرار كما لم اسمع باحتجاج اسرائيلي على مبارك لعدم تسجيله تحفظا .

٣ – تتوقع « اسرائيل » تغير موقف الاتحاد السوفييتي والمعسكر الاشتراكي من هذا القرار وهذا الافتراض واه فالاتحاد السوفييتي متبن لفكرة عنصرية الصهيونية منذ مدة ، بل وبمعيار خدمة القرار قام الاتحاد السوفييتي اكثر من كل الدول العربية مجتمعة ، بل وربما اكثر من كل جهات العالم مجتمعة بخدمة القرار فكريا واعلاميا ، بما يهيىء له تأسيسا سياسيا متناميا (١٧) كذلك ثمة نص على عنصرية الصهيونية في معاهدتي الاتحاد السوفييتي مع كل من الجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية اليمنية .

٤ – ثم قد يكون مانستهدفه اسرائيل من الاثارة موضوع القرار هو ابطال مفعوله على مستويين : مستوى تسعيده واستخراج مشتقاته في قرارات تالية للامم

(١٧) – لن نخوض هنا في التفاصيل وسيكون ثمة بحث مخصص لهذا الامر في ندوة لجنة دعم القرار / ٣٣٧٩ / القادمة قريبا . يكفي أن نذكر هنا الفعاليات الجديدة للجنة مكافحة الصهيونية في الاتحاد السوفييتي ويكفي كنموذج للعمل السوفييتي العلمي الدؤوب في اظهار حقيقة الصهيونية ان نذكر الدراسة التي ظهرت مؤخرا في نشرة نوفوستي (١٩٨٧/٨/٢١) . بعنوان « /٩٠/ عاما من العنصرية والارهاب » بقلم ديمتري بروكوفيف (ولا ندري من هو وحبذا لو عرفت به النشرة) ونود تهنئة جريدة تشرين التي جعلت هذه الدراسة ثاني أبرز خبر في عددها بتاريخ ١٩٨٧/٩/١ .

المتحدة كما اقترحنا اعلاه . ومستوى آخر هو اعتباره احد القرارات التي سينعقد على اساسها مؤتمر الامم المتحدة للسلم في الشرق الاوسط ، حيث يتآخى ويتوازن هذا القرار مع قرارات اكثر شهرة كالقرارين / ٢٤٢ / و / ٣٣٨ / – على مافي هذا الاحتمال من صعوبة – . هذا الافتراض عالجناه في بحث خاص محاججين ان القرار / ٣٣٧٦ / سيكون له مكانه في كل مؤتمر للامم المتحدة عن السلم في الشرق الاوسط.

٥ – واخيرا فلعل ثمة أغراضا اكثر خفية وارهاقا مما تقدم ، كتشجيع الهجرة اليهودية الى اسرائيل ، ودعم موقف اسرائيل الدبلوماسي في الغرب هذا الموقف الذي اخذ يتعرض لبعض الشروخ في نظر بعض « الليبراليين » الغربيين فالصهيونية لدى بعض هؤلاء الليبراليين « أقل سوءا » او « اقطر سمعة» من سياسات اسرائيل. كذلك قد يكون الغرض الخفي ربط امريكا باسرائيل ربطا محكما اذ أن من المعلوم ان امريكا تعهدت لاسرائيل تعهدات معينة بشأن القرار نفسه منها ماقيل عن اعتزام امريكا الانسحاب من الامم المتحدة اذا اكدت القرار ، ومن الاتحاد البرلماني الدولي اذا اتخذ الاتحاد قرارا مماثلا . كما قد يكون الغرض الخفي حسر ظل الامم المتحدة في السياسة الدولية . مثل هذه الاغراض الخفية المرهقة لا تشترط نجاح معركة الالغاء بل تتحقق بمجرد اثارة ضجة المعركة كما هو حاصل حاليا .

مما سبق يتضح انه ليس ثمة جدية في التخوف من قيام الامم المتحدة بالغاء القرار ضمن المعطيات السياسية الراهنة . لكن هذا القول لاينبغي ان يسير بنا الى الارتخاء في المعركة ولاينبغي ان ينسينا واجبنا الاساسي في ضرورة تصعيد القرارات الدولية المساوية بين الصهيونية والعنصرية لتجاوز القرار / ٣٣٧٩ / الى اقناع العالم بالتقرير الكامل للمساواة بين الصهيونية والابارتايد كجريمتين ضد الانسانية .

حول ندوة النهج :
أكتوبر وتجديد العالم..

الرفيق : د. ياسين سليمان

عقدت في دمشق ــ تحت اشراف مجلة النهج ، الناطقة بلسان الاحزاب الشيوعية والعمالية العربية ــ بين التاسع والعشرين من ايلول والثاني من تشرين الاول الفائت ، ندوة علمية بمناسبة الذكرى السبعين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى بعنوان « اكتوبر وتجديد العالم » .

شارك في هذه الندوة وفود اثنين وسبعين حزبا ومنظمة سياسية من ستين بلدا،الى جانب وفود تمثل اثنتي عشرة مجلة نظرية ، وتحدث فيها ، بين مداخل ومناقش ، قرابة المائة شخص .

وقد تركزت المداخلات والمناقشات حول اهمية ثورة

اكتوبر ودورها وتأثيرها العالمي والعربي ، وحول عملية التغيير الجارية الان في الاتحاد السوفياتي والتي يقودها الرفيق غورباتشوف .

كذلك عرضت على هامش الندوة افكار تتعلق بمشكلات وقضايا حركة التحرر العربي وواقعها الراهن ، قدمها مفكرون لهم باع طويل في مسائل حركة التحرر العربي .

وسيكون من المفيد عرض مانعتقده الابرز من الافكار التي طرحت في هذه الندوة ، خاصة وانها تدور حول اهم حدث في التاريخ المعاصر،حول اول ثورة تحررية اشتراكية في العالم ، حول الخطوة الاولى في التاريخ الانساني .

مكانة اكتوبر ودورها في التحرر العالمي :

فثورة اكتوبر لم تكن اول تجسيد لاحلام البشرية المضطهدة باقامة عالم انساني حر خال من الاستغلال ونزع طبول الحرب فحسب ، بل انها كانت اول قاعدة استندت اليها هذه البشرية في النضال الملموس من اجل الغد الافضل . القاعدة التي امدتها ومازالت بالخبرة والدعم متعدد الجوانب ، والذي منه المواجهة الصلبة مع الاستعمار والامبريالية والعنصرية والصهيونية والرجعية والاستغلال اينما كان واني كان .

اكتوبر هذه ، بعضهم وحتى الفقراء منهم ، انكرها ، والبعض الاخر تمسك بحرفيتها وبعقلية سلفية تماما كالتمسك المطلق بكتاب مقدس وطقوس مورست في عهود سحيقة خلت . ظلمت اكتوبر كثيرا من هؤلاء وهؤلاء ، رغم كونهم من اصحابها ، وكانوا بمواقفهم هذه اعداء لاكتوبر ، اضروا بها وباشعاعاتها ؛ تماما كاعدائها الفكريين والطبقيين .

شوهت افكار اكتوبر كثيرا وحرفت كثيرا ، ولم يكن الذنب ذنب هذه الافكار فهي واضحة سهلة ، ولم تقدم للعالم طقوسا ، ولم تقل اكثر من ان دورها هو دور المرشد على الطريق،وان الحياة هي معين المعرفة الذي لاينضب .

من يفهم اكتوبر على هذا النحو يراها خلاصة للتجارب الانسانية العقلانية نحو التحرر والتقدم ، وضمانة التحرر والتقدم في تحقيق ذاته ، وحركة دائبة الى الامام للحفاظ على الانسان وتحقيق انسانيته .

ما اروع لينين عندما قال « ان العملية الثورية التي سيشهدها هذا العصر ستتم بتعقيد وتنوع من المستحيل قولبته ، ولكن .. سيكون من الخطأ الفاحش تضخيم هذه الحقيقة وعدم التوقف عند تطبيقها على بعض السمات الرئيسية لثورتنا » .

وليس فقط بعض السمات الرئيسية ، كما شدد على ذلك مندوب الحزب الشيوعي في التشيلي ، مستخدما عبارة للينين ذاته « ليس فقط بعض السمات بل جميع السمات الرئيسية واخرى ثانوية عديدة لثورتنا لها اهمية عالمية من حيث تاثيرها في سائر البلدان ». ولم يترك لينين اي مجال للتفسيرات المختلفة لهذه العبارة وغيرها عندما قال : « اننا لاندعي بان ماركس والماركسيون يعرفون الطريق المؤدي الى الاشتراكية بكل ماتحتويه من تفاصيل فهذا يعتبر ضربا من الخيال .. اننا نعرف اتجاه الطريق ونعرف ماهي القوى الطبقية القيادية على هذا الطريق ، غير ان خبرة الملايين هي التي تظهر ذلك بصورة ملموسة وعملية » .

والآن فان اي عاقل لايستطيع ان ينكر « جاذبية اكتوبر وتاثيرها في كل العمليات التحررية لعصرنا » .

ماهر عسل من التجمع الوطني التقدمي الوحدوي في مصر :

وصف ثورة أكتوبر بانها « اعظم نقطة تحول في التاريخ » ، الثورة التي جاءت ، لا لكي تستحوذ على امتيازات طبقية وانما لتقضي

على التمايز الطبقي ذاته ، الثورة التي اثبتت لاول مرة : ان ارادة الشعوب لاتقهر ، والتي قدمت للعالم مثال التفاني في النضال والانحياز الى جانب الكادحين ، وتغليب الرئيسي على الثانوي ، وتنظيم الجماهير واطلاق مبادراتها .

وقال فايز اسماعيل : ان الاتحاد السوفياتي هو اول بلد اعتنق الاشتراكية وبشر بها وطبقها فهو بحق « وطن الاشتراكية » ، واورد ان الثورة الفرنسية بالفعل بدات بشعارات انسانية وحركة جماهيرية .. ولكن هذه الحركة لم تكن اكثر من ردة فعل لم تقم على فكر ايجابي محدد ومبرمج ، كما الماركسية ، ولا حزب مجرب كحزب لينين ، لذلك انتهت الى تسليم مقاليدها لآل البوربون ، وكذلك حال الثورة البورجوازية الامريكية .

مندوب **الحزب الاشتراكي الالماني** الموحد قال : ان اكتوبر دشنت الانعطاف في تاريخ البشرية وكانت ولادة عالم جديد ، عالم الاشتراكية والسلام والحرية والاخوة الانسانية ، التي مهدت لعصر انتقال البشرية من الراسمالية الى الاشتراكية والتغيير في ميزان القوى العالمي لصالح قوى التحرر والسلام .

شوقي صالح من الحزب الشيوعي المصري قال : ان ثورة اكتوبر اثبتت امكانية انتصار الثورة في بلد واحد ، وذلك بتقطع السلسلة من اضعف حلقاتها . كما انها برهنت على امكانية تخطي المرحلة الراسمالية ، وفتحت المجال ، كما جاء في كلمة حزب الشعب الديموقراطي في افغانستان ، للشعوب المستضعفة من اجل مرحلة النهوض التاريخية من وراء الجبهة الهادئة للامبريالية ، وجعلت من « سجن الشعوب » ، كما جاء في رسالة السكرتير الاول للحزب الشيوعي العراقي ، « اسطع مثال للتآخي القومي بين مئة امة وقومية وشعب » ، والتي فتحت الطريق النضالي التحرري امام البشرية ، وانقذتها من الفاشية .

نجاة قصاب حسن قال : وضعت اكتوبر الامل عند الشعوب ،

واعطت البشرية « ثقافة معاناة » ، « وسهلت على الثوريين معرفة الطريق وتجنب الاخطاء » .

اندريه زخاروف د. في علم التاريخ واحد اعضاء الوفد السوفييتي قال : ان ثورة اكتوبر اثرت وتواصل تأثيرها الملموس في جوانب التطور العالمي ، « واعطت نبضات جبارة لا مثيل لها في السابق لتطور حركة التحرر الوطني » ، واتاحت امامها الامكانات والآفاق .

مندوب الحزب الشيوعي الاردني اشار من جانبه الى تأثير اكتوبر في ايقاظ الوعي الوطني وانهاض النضال التحرري واعطائه زخما قويا ، فانتشرت الانتفاضات في المنطقة العربية في مصر عام ١٩١٩ والعراق عام ١٩٢٠ وسوريا من ١٩١٨ — ١٩٢٥ وفلسطين في عام ١٩٢١ و ١٩٢٩ .

احد اعضاء الوفد الشيوعي اللبناني تحدث عن تدشين اكتوبر للعهد النوعي الجديد في العلاقات الدولية القائمة على تثبيت السلام العالمي وانهاء النزاعات المسلحة ، وحق تقرير المصير والتعاون الاخوي والمساعدة المنزهة .

ففي الثامن من تشرين الثاني عام ١٩١٧ ظهرت — كما اشار **الرفيق د. احمد الموسوي من وفد حزب البعث العربي الاشتراكي — قيادة قطر العراق الى الندوة** — اول وثيقة للدولة السوفيتية في ميدان السياسة الخارجية وهي «مرسوم السلام» ، المتضمن اقتراح الاتحاد السوفياتي ، على سائر الشعوب المتحاربة وحكوماتها ، الشروع فورا باجراء محادثات من اجل سلام ديمقراطي عادل . وحددت الصلح الذي تعترف به بأنه « صلح من غير ما دمج بفرض » . وقد اعلنت الوثيقة عن علاقات جديدة بين الشعوب ابرزها — كما عبر **د. سمير غوشه** امين عام جبهة النضال الشعبي الفلسطيني مساواة البلدان كبيرها وصغيرها واحترام حق السيادة ، وادانة الاضطهاد القومي والاستعماري .

وفي ١٥ تشرين الثاني اي بعد اسبوع من « مرسوم السلام » صدر « اعلان حقوق شعوب روسيا » ، الذي تضمن المبادىء الاساسية لسياسة السلطة فيما يتعلق بالقوميات ، منطلقه المساواة والسيادة وحق تقرير المصير ، بما في ذلك الانفصال وتشكيل الدولة المستقلة والغاء الامتيازات والقيود القومية والدينية ، وضمان التطور الحر للأقليات .

وبعد اسبوعين ظهر نداء لينين الشهير الى سائر المسلمين والكادحين في روسيا والشرق « الذين تاجر وحوش اوروبا الجشعين برؤوسهم وممتلكاتهم ، وحريتهم واوطانهم مئات السنين » . وفي الشهر ذاته — كما جاء في مداخلة **نبيه رشيدات من وفد الحزب الشيوعي السوري** — قول لينين « عقائد المسلمين الدينية وعاداتهم ومؤسساتهم الثقافية حرة ومصونة » .

وقد سارعت الثورة الوليدة الى فضح المعاهدات السرية الاستعمارية والى نسخ المعاهدة السرية حول تقاسم تركيا وايران مع روسيا القيصرية. والى الغاء الاتفاق السري بين روسيا واليابان عام ١٩١٦ بشأن العمليات المشتركة في الصين ، وكذلك الاتفاقية الخاصة بمناطق النفوذ في ايران .

دور اكتوبر في حركة التحرر العربي :

وبالنسبة لنا نحن العرب فقد كان فضح اتفاقية سايكس — بيكو المتزامن مع وعد بلفور المشؤوم ، عاملا مهما جدا في ايقاظ الوعي الوطني، وفي كشف حقيقة النوايا الاستعمارية تجاه المنطقة العربية ، تلك النوايا المخالفة تماما لنص وروحية اتفاق حسين — مكماهون . ومن المعروف ان الفيتو ، الذي استخدمه الاتحاد السوفياتي في مواجهة المؤامرة الانكليزية الفرنسية ضد استقلال سورية ولبنان، كان اول فيتو تستخدمه الدولة السوفييتية الفتية . وفي عام ١٩١٩ وصف لينين نظام الانتداب بانه « توزيع الحصص للنهب

والسلب ، توزيع حقوق استغلال اكثرية سكان كرتنا الارضية على حفنة صغيرة من سكانها » . وكان لينين قد قوم عام ١٩١٢ الحرب الايطالية الليبية بانها «مجزرة بشرية متمدنة متقنة ، وتقتيلا للعرب بواسطة أحدث العتاد » .

وكذلك عملت اكتوبر على الاتصال بثورتي هنانو والعلي . وكان لها تأثيرها في الثورة السورية الكبرى . وهكذا فان ثورة اكتوبر لعبت دورا بارزا في ايقاظ الوعي الوطني والقومي العربي، وساعدت في انهاض النضال التحرري واعطائه زخما قويا . . وان كان سابقا لاكتوبر « الا انه لم ينجح الا بعدها » .

اندريه زخاروف قال :

« يجري نضال العرب من اجل تحررهم الوطني في ظروف معقدة ، فالامبريالية تحاول اعاقة تطوير هذا النضال » ، الذي عرف الهزائم والتراجعات والصعوبات الى جانب النجاحات ، تلك التي تحقق بالجهد الذاتي ودعم الاصدقاء في العالم . . وكان لينين قد اكد التعاون الكفاحي بين ثورة اكتوبر وبلدان الشرق التابعة . . . بقوله : « اننا وقفنا دائما ونقف وسوف نقف مع التقارب الاوثق وتلاحم العمال الواعين في البلدان المتقدمة مع العمال والفلاحين والعبيد في سائر البلدان المضطهدة » .

وقال الباحث : ان الاتحاد السوفياتي هو الصديق الوفي والحليف المبدئي للعرب . . وان صداقته هذه تقوم على اساس المساواة ، والمنفعة المتبادلة واحترام حقوق السيادة وعدم التدخل في الشأن الداخلي . .

واضاف : ان انتصار اكتوبر خلف ظروفا ملائمة للتحرر والاستقلال العربي ثم استعرض الموقف السوفييتي الداعم **لنضال سورية والجزائر والعراق واليمن وليبيا . . الخ .**

وقال : « ان الصداقة مهمة لتطوير العمليات الثورية وتحقيق التحولات التقدمية » ، مبينا ان **سورية « تقف في عداد البلدان**

السائرة على طريق بناء المجتمع العصري والتقدمي » ، والتي قال فيها غورباتشيف اثناء زيارة **الرئيس حافظ الاسد الاخيرة للاتحاد السوفياتي :** « ان مواقفنا الطليعية ضد الامبريالية مسالة لا جدال فيها » . واضاف الباحث : **ان الرئيس حافظ الاسد قوم اتفاقية الصداقة المعقودة بين البلدين على انها « حجر الاساس في سياسة سوريا المستقلة »** ، **وكان الرئيس الراحل عبد الناصر قد قال : لقد كان السوفييت «الاكثر استحقاقا لامتناننا الذي لاحدود له»**، واشار الباحث الى المساعدات السوفييتية الدفاعية والاقتصادية والاسهامات في التنمية ، والمثال عليها بناء ـــ ٥٠٠ ـــ مصنع في مصر ، ومساهماتها في توسيع قطاع الدولة وتطوير الفروع الاقتصادية المهمة مثل الصناعة الثقيلة والطاقة والنفط والغاز والزراعة والري والتنقيب عن الثروات الباطنية ، والتخلص من التركة الاستعمارية والوقوف ضد الحلول المنفردة لمشكلة الشرق الاوسط .

ميشيل كامل عضو مكتب سياسي للحزب الشيوعي المصري : شدد على الاعتراف بهذا الدعم ، وعلى ان الاتحاد السوفياتي هو مصدر المعونات الدفاعية ، ومن اجل التنمية المستقلة ، وحماية الاستقلال والتقدم .

محمد ابراهيم العلي ، قائد الجيش الشعبي في القطر العربي السوري ، قال « ان الاتحاد السوفييتي يقف الى جانب الشعوب بوحي من عقائده الانسانية ، الخالية من اي غرض او هدف استعماري . ودون شروط او احلاف . . » .

واورد عن الرفيق حافظ الاسد الامين العام لحزبنا قوله « ان الاتحاد السوفياتي يؤمن بالسلام ويعمل من اجله ، وهو يقدم لنا المساعدة على هذا الاساس » ، واكد العلي ان العلاقات القائمة بيننا « تقوم على اساس متكافيء في ظروف علاقات دولية غير متكافئة » ، وبينما الغرب يبحث عن العملاء فان الاتحاد السوفياتي يبحث عن علاقات تتسم بروح الصداقة والمساواة . وقد قال الرفيق المناضل

حافظ الاسد : « اننا نتعامل مع الاتحاد السوفياتي تعامل الند للند ، اي تعامل الصديق مع الصديق ، لايتدخل في شؤوننا الداخلية ، ولهذا نقوم بيننا علاقات مستقرة ، وثقة تتعمق يوما بعد يوم » .

وقال العلي : ولكن الرجعيين العرب ، بعيدا عن مصلحة الامة العربية ، يعملون على تأجيج العداء للاتحاد السوفياتي ، بغرض تبرير تحالفاتهم مع الامبريالية الامريكية .

الرفيق فخري كريم رئيس تحرير مجلة النهج قال : « لقد سعت الامبريالية والصهيونية واعوانهما في البلدان العربية ، طوال الاعوام السبعين الماضية ، للتأثير في الجماهير الشعبية غير الواعية وحملها على الابتعاد عن الاتحاد السوفياتي . وحين كان يسقط في ايديها وتعجز وسائلها الايديولوجية عن تحقيق ذلك تلجأ الى اسلوبها المألوف .. العنف والتشريعات الرجعية » .

نبيه رشيدات : مشددا على الفكرة ذاتها ، قال : « الصهيونية لن تغفر للاتحاد السوفياتي انه أول دولة اعلنت ان الصهيونية حركة رجعية عنصرية لايسمح لها بالعمل . ولن تغفر له هزيمة كل الفصائل التي حاولت الصهيونية ان تتسرب من خلالها ، من البوند حتى التروتسكية .

خالد بكداش ، متوسعا في الفكرة ذاتها ، قال « لم تغفر الصهيونية للاتحاد السوفياتي انتصاره على التروتسكية ، سياسيا وايديولوجيا .. » وهي تسعى الان لاحيائها لان الصهيونية هي التروتسكية بعينها » .

وبالتاكيد لن تغفر الصهيونية ولا الامبريالية للاتحاد السوفياتي، ليس فقط مايتعلق بمحاربة الصهيونية ودعم قضايا التحرر ، بل لن تغفر له وجوده ، مجرد وجوده واستمراره . . .

دروس من اكتوبر :

اذن فان الرجوع الى اعوام اكتوبر السبعين ليس التفاتا الى الماضي من اجل الماضي — كما عبر عن ذلك احد المساهمين في الندوة — بل التفاتا الى الماضي لاستجلاء رؤية الحاضر والمستقبل ، فالمستقبل لاينشأ من فراغ ، بل تتولد وتتضح مقدماته على مدى حقبة تاريخية طويلة نسبيا .

ان ثورة اكتوبر كانت ، بمعنى من المعاني ، مستقبل كومونة باريس .. وعلى هذا الاساس فان المستقبل ليس ذلك المجهول الذي نستخرجه بضرب اخماس باسداس ، فهو ليس مادة للمنجمين ، بل موضوعا للبحث العلمي المرتكز الى قانونيات التطور الاجتماعي المدركة بمعرفة منهجية .

ولقد اشار احد الباحثين في الندوة الى محاور هامة من عملية استقراء التاريخ الثوري لاكتوبر وهي :

— ان ثورة اكتوبر حلت واحدة من القضايا الحيوية أن جاز التعبير ، وهي علاقة الثورة البورجوازية الديمقراطية ، بالثورة الاشتراكية ، انطلاقا من مزج خبرة الحركة الثورية في القرن التاسع عشر بالتحليل الملموس للوضع الجديد في مطلع القرن العشرين . فالثورة الديمقراطية التي نضجت في روسيا نضجت في ظروف نمو الطبقة العاملة داخليا ، واختمار مقدمات الثورة الاشتراكية على الصعيد العالمي .. وفي هذا الظرف الجديد كان بوسع الطبقة العاملة وحلفائها من الفلاحين أن تلعب دورا اساسيا في الثورة البورجوازية الديمقراطية ، بل وان تختزل بحكم ظروف التطور الموضوعي ، على الصعيد العالمي ، المسافة التاريخية ، بين الثورتين الديمقراطية والاشتراكية ، من دون القفز على قوانين التطور الاجتماعي ، بل على اساس تطبيقها الديناميكي .

— كما ان ثورة اكتوبر حلت مسألة التحالفات الطبقية ، في

المرحلتين الديمقراطية البورجوازية والاشتراكية . وهذا لم يمنع الطبقة العاملة من أن تسهم في التحول الديمقراطي بالطريقة الثورية وليس بالاصلاحات . كما ان الطابع البروليتاري للثورة الاشتراكية لم يمنع من أن تتولى الطبقة العاملة انجاز المهام الديمقراطيــة ، التي تخلت البورجوازية عن حلها ، وذلك في مجرى التحولات الاشتراكية.

— درس آخر هو البرنامج اللينيني لحل المسألة القومية ، في دولة متعددة القوميات وهو مضاد للنزعة الشوفينية ، وهيمنة القومية الكبرى ، وضيق الافق القومي لدى القومية الصغيرة المضطهدة .. وذلك كله في اطار الحق في تقرير المصير كاساس للوحدة الطوعية للقوميات .

وكذلك يستدل من البحث على قضايا اخرى هامة منها :

— قضية الحرب والثورة ، وتصنيف الحروب ، بين ظالمة وعادلة .

— ثم البرنامج العسكري اللينيني : فكرا وتطبيقا : من الانتفاضة وظروفها الاجتماعية والسياسية وشروطها الذاتية والموضوعية واشكال تنظيمها ، اي طريق الحل العملي لمسائل الصراع الطبقي في لحظات الازمة الثورية والدفاع عن السلطة الثورية .

— ثم تفكيك جهاز الدولة القديم وبناء دولة من طراز جديد .

— وكذلك قضايا البناء الاقتصادي ، وتحطيم بقايا العلاقات المجتمعية من الماضي الاقطاعي ، وعلاقات التقانة والملكية الاقطاعية .. وفي هذا الاطار جرى استخدام راسمالية الدولة ، الى جانب بناء قطاع الدولة الاشتراكي وبقيادته ، من اجل دفع عجلة التركيز والتمركز عبر القضاء على فوضى الانتاج البضاعي الصغير ..

وقال الباحث : ان استخدام راسمالية الدولة في حدود معينة سلفا في اطار مرحلي وباشراف ورقابة سلطة الدولة العمالية بشكل

ابداعا تاريخيا يتمثل في الاستخدام الواعي لهذا الشكل التاريخي الانتقالي من حقبة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية ،

واضاف : أن هذا الجانب من ثورة اكتوبر يتمتع باهمية استثنائية بالنسبة للبلدان النامية التي تتسم بضعف التطور الراسمالي وبغلبة الانتاج البضاعي الصغير ، والتي يواجه بعضها ، بعد انتقال السلطة السياسية الى ممثلي الطبقة العاملة والفئات الكادحة في الريف والمدينة ، مهام مماثلة من حيث الجوهر العام .

في اطار هذه الافكار ساق **رئيس وفد حزب الطليعة الاشتراكية الجزائري** فكرة مفادها ان ثورة اكتوبر قدمت بعدا جديدا للعلاقات بين الوطني والأممي . وكذلك **قال رئيس وفد حزب الوحدة الشعبية من الجمهورية العربية اليمنية** : ان ما يجري في العالم اليوم « يؤكد صحة التنبؤ العلمي اللينيني حول الآفاق الموضوعية التاريخية لتحول نضال المستعمرات وشبه المستعمرات الى نضال ضد الراسمالية ايضا ، الى جانب كونه نضالا ضد الاستعمار .. » .

الفكرة الاخيرة هذه تحدثت عنها نشرة وكالة نوفوستي في ١٥ ــ ١٠ ــ ١٩٨٧ ، مبينة انه حدثت بعد اكتوبر ثلاث وخمسون ثورة . وان ست ثورات اشتراكية من اصل تسع بدات كثورات معادية للامبريالية .. تحدثت في الندوة ايضا ممثلات عن المراة ، فبين دور اكتوبر في تحرر المراة وابراز دورها الى جانب قضايا التحرر الاقتصادي الاجتماعي العام ..

.. لهذا وذاك تسعى الامبريالية لحصر اكتوبر في بلد اكتوبر ، كما عبر عن ذلك د. عبد الرزاق عيد مشكلة « ترسانة من الاكاذيب والدسائس والمؤامرات ريثما يكبر وحشها الفاشي لانقاذ مستقبلها » ..

اننا نعلم انه ، وزيادة على كل المعاني التي تحدث بها المتداخلون من اهمية واثر اكتوبر ، لولا ثورة اكتوبر ، كما اكد خالد بكداش ،

مشددا على كلمات الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد لحزبنا ، لما تورع الامبرياليون عن الجرائم ، ولما اكتفوا بالنهب والسلب .. ، ومن هنا فان اكتوبر تغدو بحق « ضمانة البشرية » .

عملية التطوير والتجديد « البريسترويكا » الجارية في الاتحاد السوفياتي :

شغل الحديث عن عملية التغيير والتسريع الجارية في الاتحاد السوفياتي ، والمسماة بـ « البريسترويكا » ، جانبا كبيرا من مداخلات ومناقشات الندوة . والواقع ان جميع هؤلاء طرحوا افكارهم عن البريسترويكا هذه بقالب ايجابي ، سوى ان بعضهم تعصب لها ومدحها اكثر من البعض الاخر . فبعض المداخلين اعتبرها ثورة جديدة كل الجدة ، والبعض الاخر اصر على اعتبارها استمرارا وتطويرا ، بموجب معطيات العصر الراهن .

هذه البريسترويكا تشغل العالم الان ، بين متفائل بكونها عملية تجديد وجذب وتأثير ، بعد ترهل وتراجع في فترة السبعينات ،وبين مفسر لها على انها تحول ليبرالي ينتهي الى بعث الراسمالية والالتقاء عند نقطة تقاطع مع النظام الراسمالي العالمي ، كما طرح **برجنسكي** في كتابه **« بين عصرين ـ امريكا في العصر التكنوتروني »** . وبين بين يوجد من يتخوف من هجمتها ، ومن لا يعرف ماهيتها ومن يعتبرها « قفزة في المجهول » ... الخ

سنعرض هنا اهم ماجاء في افكار ممثلي هذه العملية **« البريسترويكا »** من السوفييت ومن اصدقائها واصدقاء الاشتراكية . ولن يتسع المجال لدحض الاراء الاخرى او تفنيدها ، ولكن يمكن استباق الاراء جميعها بالتمني بان ترمي هذه العملية الايديولوجية والتنظيمية عبر الديمقراطية والطرائف الادارية الجديدة ، الى اطلاق مبادرات الانسان السوفياتي اكثر فاكثر ، من

اجل الاثبات العلمي لحقيقة سبق الاشتراكية ، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وحضاريا ، والبرهان على انها النظام الامثل والذي لا بديل عنه للبشرية جمعاء ، من اجل الحفاظ عليها ومن اجل مستقبلها الانساني .

فخري كريم رئيس تحرير النهج يقول : ان عملية التجديد تنطوي ، بالنسبة لنا ، على اهمية كبيرة ، وفهمها يعيننا على فهم مواقف ومبادرات الاتحاد السوفياتي القائمة في عالم اليوم ، بما فيها المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط .. ويفرض علينا مهمات عملية في اطار البحث الجدي عن تحالفات وتحشدات اوسع على ساحتنا العربية .

وقال : لقد اصبحت اكتوبر بفضل مايجري في الاتحاد السوفياتي قوة جذب لانظير لها ، القوة التي تثير الجدل بين اعدائها الطبقيين ذاتهم ، وتسقط الكثير من اسلحتهم السياسية والدعائية ، وتبعث فيهم الارباك والبلبلة . واضاف « في هذا اي في عملية التغيير والتطوير ، يكمن مثال الثورة الاشتراكية العظمى ، بالمقاييس اللينينة ، التي كاد الركود والشعارات ، وتراجع العمل الفكري الخلاق ، ان يعطل نبض الحياة والابداع فيها ، ويخفف وهج شعلتها ولو مؤقتا » .

وراى الرفيق : ان نتائج هذه العملية تستهدف بالتالي تجديد العالم باسره. وبفضل شمولية هذا التجديد وتعدد حلقاته، وتعرضه، بالمعنى العام لقضية الوجود الانساني ، كهدف بحد ذاته ، وهو هدف نبيل ومشروع ، فان تأثيره الايجابي سينعكس ايضا في خلق المزيد من امكانات النهوض لانجاز مهام حركة التحرر الوطني ، والتقدم الاقتصادي الاجتماعي واختيار طريق التطور المستقل .

وفي معرض الرد على دعاوى الغرب الراسمالي قال : قبل / ٦٢ / عاما اي في المؤتمر الرابع للكومنترن تحدث لينين عن

السياسة الاقتصادية الجديدة وقال ـ مستعرضا تاريخ ماقبل هذه السياسة ـ « وبصراحة اننا ارتكبنا جملة من الحماقات ولكن حماقاتنا ليست شيئا بالمقارنة مع الحماقات التي ارتكبتها الدول الراسمالية والعالم الراسمالي والاممية الثانية سوية » .

وتابع الباحث قوله : انهم يشككون في الغرب بالاشتراكية والتجديد ، بينما يرى آخرون فيما يجري « نقلة نوعية في مسيرة المجتمع الاشتراكي » .

واوضح : ان التفكير الجديد هذا يقوم على ركيزتين : ١ ـ لايمكن للحرب النووية ان تكون وسيلة لتحقيق الاهداف السياسية في الساحة الدولية ، وبالتالي لايمكن حل القضايا الدولية الا بالطرق السلمية ، والتخلي عن سباق التسلح .. وتحقيق الامن المتكافيء للجميع .. ولذلك فان مسالة السلام تعلو على المصالح الوطنية والطبقية والفئوية .. وهذا يعني ان الصراع بين الاشتراكية والراسمالية لا يمكن ان يدرك الا على طريق المنافسة السلمية .

٢ ـ ان لكل شعب ، صغر ام كبر ، الحق في اختيار نظامه الاقتصادي الاجتماعي والطريق الذي سيسلكه لتحقيق تقدمه الاجتماعي .

ومن هنا ـ يتابع الباحث ـ انبثقت الحاجة الى النظرة الواقعية .. والحاجة للاصغاء الى الراي الاخر ، وتجنب اخفاء الرغبات الذاتية .. والتحلي بالمسؤولية الخاصة تجاه الامن الذي لايقبل التجزئة .

وانتهى الباحث الى القول ان النجاحات المتحققة في هذه العملية حتى الان تعكس نفسها في التقدم الكبير في وعي الانسان السوفياتي والتفاف الشعب السوفييتي حول قيادته ، واستعداده للانخراط في الميدان العملي .

ماهر عسل قال : نحن اصحاب مصلحة مباشرة في ازدهار

الاقتصاد السوفييتي ، فكلما ازدهر الاقتصاد تنامت جاذبية الاشتراكية . ولكنني الاحظ ـ قال الباحث ـ ان تناول « البريسترويكا » يجري في اطار يشير الى انها تنفي الخط الاقتصادي السابق ، خاصة انها تواكبت مع تنظيم العمل الفردي الذي يصور وكانه احياء للقطاع الخاص وخطوة اولى نحو توسيعه ، الامر الذي يعني الاعتراف بفشل القطاع العام ..

ان هذا الاتجاه هو الذي يروج لفكرة التداخل بين الراسمالية والاشتراكية والى التقارب والازدواج وتشكيل الاتجاه الجديد . وطالب الباحث بايلاء هذه المسالة اهمية خاصة لتبديد ما علق من الاوهام حولها .

عمار بكداش : مواصلا الفكرة ذاتها ، قال : ان الاتحاد السوفياتي مارس هذا التجديد عدة مرات في مسيرة بنائه : مرة في السياسة الزراعية ، ثم عملية اعادة البناء بعد الحرب العالمية الثانية ، ومرةفي اواسط الستينات ، وفي مساعدة دول الديمقراطية الشعبية ، وحركة التحرر الوطني . قال : اننا ننظر الى ما يجري على انه « تكييف جديد مع معطيات الثورة العلمية التقنية وتطوير الديمقراطية الاشتراكية » .

محمد هرمل : الحزب الشيوعي التونسي قال ان هذه العملية تذهب الى « مقاومة مواطن النقص ومظاهر الجمود البيروقراطي » ، وانه « لايمكن للاشتراكية ان تحافظ على نسق تطورها وان تحل المشاكل التنموية الجديدة ، وان تسد حاجيات شعوبها بدون هذه الروح النقدية والتجديدية .. بدون توسيع وتعميق وتحسين الاشتراكية » .

يوسف الحسن من جبهة التحرير الوطني البحرانية قال : يشيع ايديولوجيو البورجوازية حكما على مؤشرات سنوات السبعينات مفاده : ان الاشتراكية في « نموذج الاتحاد السوفياتي

قد استنفذت امكاناتها وظلت تراوح مكانها ، وانها فقدت جاذبيتها، ولن يكون النموذج قادرا على تجاوز صعوباته الا بالتحول عن الاشتراكية ذاتها » .. وقال الباحث : ولكن ماذا نرى الان ؟ اننا نرى البريسترويكا ، التي دخلت القاموس العالمي ؟ .. نرى التجديد الاشتراكي ، وقبل هذه العملية كانت هناك « النيب » ، و « سبوتنيك » وستستمر الطريق المتصاعدة للاشتراكية ...

خالد بكداش قال : يحاولون استغلال مسيرة اعادة البناء ، ومهما قالوا فنحن نعلم ان البريسترويكا لها هدف رئيسي هو تعجيل التقدم الاقتصادي ورفع انتاجية العمل ، وذلك بمتابعة التقاليد السوفييتية العريقة بالاعتماد ، اكثر فأكثر ، على طاقة الجماهير الخلاقة ، وتوسيع الديمقراطية الاشتراكية ، وفسح المجال اوسع فاوسع امام العمال والفلاحين التعاونيين والمثقفين الشعبيين ... وليس في الاتحاد السوفياتي غيرهم . فلا مستثمرون ولا رؤوس اموال ولا اقطاع .

فايز اسماعيل قال : عن غورباتشيف انه القائد الكبير الذي جاء في الزمان الصعب ، والذي يسمي مايقوم به تغييرا ولكنه في حقيقته « الثورة الجديدة » . واستشهد باقوال لغورباتشيف من اجل دعم هذا الراي .

في مثال : « ان جهودنا موجهة حاليا لنشر الديمقراطية الواسعة والتسيير الذاتي من قبل الشعب ، واستئصال البيروقراطية . وسوء استخدام السلطة . وتعزيز الشرعية الاشتراكية » . وقوله « ان التغيير يلهم البعض ويعطيهم قوة جديدة ويصيب البعض الآخر بالحيرة ، ولايرضى البعض الثالث من التحولات الجارية .وهو لا يرضى بالذات هوى الذين اعتادوا العمل بفتور ، وعمل كل شيء بالاتكال ، لعل وعسى ،وغير المبالين الخاملين الذين لايبدون اية مبادرة ، وهو لايرضي ايضا هوى هؤلاء الذين لم يعبؤوا براي فريق العمل ، والكادحين في المنشآت والمنطقة والمدينة

والمختبر ، كما لو كانوا في ضيعهم الخاصة ، ناهيكم بالكلام عن هؤلاء الذين استغلوا وضع اباحة كل شيء للاختلاس من الخزينة والاثراء مع الامتهان الماجن لقوانيننا وقواعد اخلاقنا ، وهذه هي منابع القوة الجديدة للتغيير والتباطؤ في التصرفات العلمية وطموحات التحين » .

وقوله : « إننا نعتزم **تعزيز الاشتراكية وليس ان تستبدل بها نظاما آخر** ، اننا نريد المزيد من الاشتراكية لذلك نريد المزيد من الديمقراطية » .

وقوله : ان الاعتراف النزيه بالتقصيرات والاخطاء والعزم على تذليلها لا يؤديان سوى الى تعزيز اهمية الاشتراكية ...

وقوله : ان كلمتي التغيير والعلانية وخاصة بعد اجتماع يناير يفهمان كمرادفين لكلمتي التقدم والسلام .

موريس صليبي شدد من جانبه على اهمية « الهجوم السلمي» الذي يقوده الاتحاد السوفياتي بموجب سياسة التغيير ، مبينا ان قوة التدمير الموجودة الان في العالم تساوي مائة ضعف قوة التدمير التي استخدمت حتى الان في خمسة عشر الف حرب عرفتها البشرية . وقال : ان الخطر الكارثي النووي قائم وجدي فاذا ما اتفق شخصان لاشعالها لسبب او لآخر ـ شذوذ ، سكر ، جنون يمكن ان تشتعل . كما انه من المعروف ان الاجهزة الالكترونية الموضوعة كصمام امان اخطأت حتى الآن ثلاث مرات، فلماذا لاتخطيء المرة الرابعة مثلا . ويبين الباحث انه ينفق سنويا بحدود ٧٠٠ ــ ٨٠٠ مليار على سباق التسلح ، منها (١٢٠) مليارا من البلدان النامية. واشار الى انه خرج من ادبيات المؤتمر الذي عقدته هيئة الامم المتحدة ، بعنوان « سباق التسلح والتنمية » والذي قاطعته الولايات المتحدة مامفاده انه لو انفق (١٪) مما ينفق في العالم على سباق التسلح ، من اجل تحسين الزراعة ، لتحقق الامن الغذائي في العالم الثالث .

جانب آخر تطرق اليه كثير من الباحثين وهو تأكيدهم ان عملية التغيير لابد ان تنعكس ايجابيا على قضايا حركة التحرر في بلدان العالم الثالث وليس كما يدعي الغرب . وقد فسر هذه المسألة بصورة منطقية **الرفيق زغلادين** النائب (الاول) لرئيس الشؤون الدولية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي ، حسبما جاء في نشرة نوفوستي في ١٥ / ١٠ / ١٩٨٧ على النحو التالي : قال: يحاول الغرب الايحاء بان التجديد يضعف مجال التعاون بين الاتحاد السوفياتي والبلدان النامية ، وما دفعهم لدرء الخطر ، بل ان بوادره لاحت في الافق ، فقد ادى تباطؤ التنمية في السبعينات الى تصاعد نشاط الامبريالية التخريبي ضد الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية والنامية على حد سواء ولكن في الحقيقة لولا هذا التجديد لظهر الخطر بل ان بوادره لاحت في الافق فقد ادى تباطؤ التنمية في السبعينات الى تصاعد نشاط الامبريالية التخريبي ضد الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية والنامية على حد سواء، ومادفعهم للمواجهة ليس اسبابهم الداخلية فقط، بل انهم لاحظوا تباطؤ الاشتراكية فقرروا تشديد الضغوط .. وهذا هو ايضا سبب انكماش النضال التحرري الى حد ما في مختلف القارات . وقال : ولان التغيير يؤدي الى تقليص الاسلحة والنزعات الاقليمية وتنشيط السياسة الخارجية فهو يؤدي الى تنشيط النضال التحرري . واكد : ان التجديد يتيح افضل التعاون بين فصائل حركة التحرر العالمي الثلاث .

يبقى أن نعرف عملية الترابط بين التغيير الداخلي والسياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي وكذلك حقيقة هذا التغيير بواعثه وآفاقه ؛ من أعضاء الوفد السوفييتي الى الندوة انفسهم .

فقد قال رئيس الوفد السوفييتي : ينبغي التاكيد بوجه خاص الترابط الذي لاتنفصم عراه بين النهج الداخلي والسياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي . فكما هو معلوم تجري منذ دورة نيسان عام ١٩٨٥ للجنة المركزية والمؤتمر السابع والعشرون للحزب تحولات ثورية عميقة في جميع الميادين. وقال :ان التفكير السياسي

الجديد مفعم بالنظرة الواقعية الى ما يحيط بنا ، والى ذاتنا ،والى الموقف غير المتحيز من الاخرين ، وفهم المسؤولية الذاتية والامن ، انطلاقا من المصالح الشاملة للبشرية في زمن الخطر النووي الواقعي. واضاف : ان منطقية هذا التفكير تكمن في كون العالم اصبح مترابطا اكثر فاكثر ، ومتكاملا في امور كثيرة ، وهذا الترابط يتجلى في مسالة البقاء ،ومسالة تطور الاقتصاد العالمي ، ووجود المصالح البشرية، والحفاظ على البيئة ، وفي مكافحة الجوع والتخلف والامراض ،وفي اكتشاف مصادر جديدة للطاقة واستخدام الفضاء من اجل تقدم البشرية .

وقال : ان الحرب النووية لا يمكن ان تكون وسيلة لبلوغ اهداف معقولة ولايمكن كسبها .. ولذلك فالنضال مطلوب لبقاء البشرية ، وهذا يشكل مقدمة ضرورية لجميع المهام الاخرى اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية .

وقال : ان الركض وراء السلاح يعتبر جنونا لان الامن لايمكن ان يكون الا امنا شاملا ولذا فانه يجب ان يشعر الجميع بامن متكافيء ، « **لان مسالة البقاء تدفع للتعاون وتدفع الاخرين التفكير بواقعية** » . واضاف : ان هذا ليس تنازلا ، فنحن دائما على استعداد للدفاع عن مصالحنا ، ولكننا نجمع بين الصلابة والمرونة من اجل تسويات مقبولة ، انطلاقا من الواقع الموضوعي في العالم المعاصر مسترشدين بمسؤولية الدولة الاشتراكية .. واكد : انه من السهل غلق الباب ولكن الرابح لن يكون السلام .

وفي اطار توضيحه للتفكير الجديد قال : نفهم هذا التفكير في عدم وجود فجوة بين القول والفعل ، فالاخلاص للسلم والنزعة الانسانية يبرهن عليهما بخطوات عملية. واستعرض جملة المبادرات السوفييتية بهذا الصدد ، والتأييد العالمي، مستشهدا بقول الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام لحزبنا بقوله ، في موسكو هذا العام : « نحن نقدر جهود الاتحاد السوفياتي الموجهة لانقاذ البشرية من الكارثة النووية وتحقيق الانفراج الدولي وتسوية النزاعات الدولية » .

واضاف رئيس الوفد السوفييتي قائلا : ان الامن في الميدان السياسي يعني اعادة بناء العلاقات الدولية على اساس ديمقراطي ، وبناء السلام الحقيقي على اساس عادل ديمقراطي ، والشرط الالزامي لسلام كهذا هو الاحترام غير المشروط في الممارسة الدولية لحق كل شعب في ان يختار بنفسه سبل واشكال تطوره . ولهذا يدين الاتحاد السوفياتي سياسة العالمية الجديدة التي تهدف الى فرض التحكم الامبريالي في مختلف مناطق العالم ، وفرض الاوضاع الاستعمارية الجديدة ، وعرقلة تطور الشعوب في طريق الاستقلال والتقدم .. وهذه السياسة تتصف بسياسة الارهاب الرسمي ..

وتطرق الى الحرب العراقية الايرانية قائلا : « ان القصد اللاحق لهذا النزاع يعمل بلا شك ضد الوحدة العربية » .

وقال نائب رئيس اكاديمية العلوم السوفييتية : ان عملية التسريع بدات بعد دورة نيسان للجنة المركزية عام ١٩٨٥ والمؤتمر السابع والعشرين للحزب ، الذي علل وجسد بصورة شاملة هذا الخط الاستراتيجي . وقال : ان ضرورة عملية التسريع انبثقت من حقيقة انه توضعت في الاقتصاد السوفياتي في السبعينات « ميول غير مناسبة الى جانب النجاحات التي تم احرازها » ، حيث بدانا نلمس انخفاضا محسوسا في وتائر نمو الانتاج ، فقد كان متوسط الانتاج السنوي للدخل القومي في الخطة الثامنة ١٩٦٦ ـ ١٩٧٠ قد ازداد بنسبة ٨ر٧٪ ولكن هذا المؤشر انخفض الى ٦ر٣٪ في الخطة الحادية عشرة من ١٩٨١ ـ ١٩٨٥ اوانخفض متوسط النمو السنوي لانتاجية العمل من ٨ر٦٪ الى ٢ر٣٪ والسبب يكمن ، في استصغار اهمية الحاجة الملحة للتطوير المكثف للاقتصاد . «لكن المؤتمر السابع والعشرون قال : لا يمكن تسريع التنمية والتطور المكثف الا بعملية البريسترويكا الحازمة لكل جوانب حياة المجتمع : اولا الاقتصاد وآلية ادارته : وفي هذا الصدد جاءت دورة اللجنة المركزية في شباط ١٩٨٧ التي بحثت في تعميق الديمقراطية الاشتراكية ، وتطوير

الادارة الذاتية وسياسة الكادرات ، والتي ركزت على تعبئة العامل البشري بهدف تنشيط المشاركة في تسريع التنمية .

وكانت كذلك دورة حزيران ١٩٨٧ للجنة المركزية التي بحثت ضرورة الاصلاح الجذري في ادارة الاقتصاد .

وقال الباحث : ان البريسترويكا الاقتصادية وتسريع التنمية على اساس التقدم العلمي يفترضان حل الكثير من المسائل واولها التغيير الحازم للسياسة الاستثمارية والبنيوية في مجال الاقتصاد وما تطلبه قضية التوظيفات الاساسية من اساليب جديدة مثل تحديث المؤسسات حتى ٥٠٪ ، الحيلولة دون تجميد الاموال ، زيادة مخصصات العلم والتصاميم .. الخ . وقال : ولكن التسريع « مستحيل بصورة عفوية وتلقائية » بل انه يحتاج الى آلية ادارة مرنة وقادرة على استخدام افضليات الاشتراكية .

ثم حدد الباحث مهام التغيير الاقتصادي بقوله :

ان البريسترويكا الجذرية الجارية الان للادارة الاقتصادية تضع نصب عينها المهام التالية :

١ ـ احراز افضل النتائج النهائية في فروع الانتاج ذات الاهمية الاجتماعية الكبيرة .

٢ ـ تحويل التقدم العلمي التقني الى عامل رئيسي في النمو الاقتصادي .

٣ ـ تامين توازن الاقتصاد وتصفية العجز في انتاج المنتجات والخدمات .

٤ ـ احراز الانسجام التام بين المصالح الاقتصادية الشخصية ولجماعات العاملين ومصلحة المجتمع المتجسدة في نمو الانتاج الاجتماعي وتحسينه من اجل رفاهية الشعب وتعزيز القدرة الاقتصادية والدفاعية .

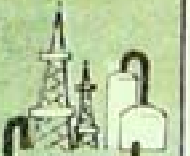
٥ ـ استخدام الية اقتصادية فعالة تضمن الانتقال الى الاساليب الاقتصادية على الغالب للادارة واستخدام مبدا «المركزية الديمقراطية » في الادارة بمفهومه اللينيني ، الذي يعني تحسين مركزية الادارة وتوسيع استقلالية التخطيط والانتاجية الاقتصادية للمؤسسات والمجمعات وزيادة اضفاء الطابع الديمقراطي على نشاط جماعات العاملين .

وحول استقلالية المؤسسات قال ان هذه الاستقلالية تجري ليس بنظام التخطيط فحسب بل وباستخدام الميزان الاقتصادي ، وتطبيق التمويل الذاتي ، الذي يعني ان المؤسسات تغطي من ايراداتها جميع نفقاتها المتعلقة بالانتاج وتطويره وحل المهمات الاجتماعية .. وتنص كذلك على تحسين جذري للروافع والحوافز والاجور .... الخ .

وهذه العملية برمتها تسير في النهاية ، حسب منطوق القانون الاساسي للاشتراكية للتوضع في خدمة الانسان رقيه وتجدده الحضاري .

يمكن الزعم بانه تم الوقوف على ابرز الافكار التي طرحت في الندوة حول ثورة اكتوبر ودورها وتطورها .

ولكن الندوة اشتملت على افكار اخرى هامة ، يتعلق بعضها بالواقع الراهن لحركة التحرر العربية ، ولعل المجال يتسع لمناقشتها في المستقبل .



أفكار وآراء.. حول الابداع..

الرفيق : د. ابراهيم عيسى

١ ـ مقدمة :

في حديثه امام مجلس الشعب قال الرفيق الامين العام للحزب رئيس الجمهورية «ان التنمية بجوانبها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية هي حاجة وطنية ملحة ... يجب ان تستمر بحركة متسارعة ومتصاعدة ، لان الحياة لاترحم المتخلفين » كما قال : « ان قطرة عرق نبذلها زمن السلم توفر قطرة دم زمن الحرب » ليؤكد بان التنمية هي حاجة وطنية ملحة ترتبط بمقتضيات الامن العسكري وتؤكد ارتباط المواطن بوطنه ، تاتي مع نمو الوعي الوطني في المجتمع وحاجته الملحة للابداع :

تأتي كلمة « ابداع » من فعل « ابدع » اي اجاد في عملـه . اما عند الحكماء فان معنى « ابداع » هو ايجاد شيء غير مسبوق بمادة ولا زمان ... وبما ان « الابداع » يشمل جميع مناحي الحياة فانا سنقتصر الحديث حول الابداع في الامور الاقتصادية بشكل عام وبالنواحي التقنية بشكل خاص من حيث اتقان العمل والاختراع وتهيئة الظروف المشجعة لذلك كما سنرى في الفقرات التالية .

٢ ـ الابداع بمعنى الاختراع :

من المعروف بان الانسان ، منذ بدء الخليقة ، وخلال العصور الماضية المتعاقبة حقق التقدم ببطء ولكن بشكل مستمر ودائم على طريق ايجاد ادوات ووسائل ميكانيكية ومادية ففي العصر الحجري اتصف الانسان باختراعات بدائية ، وفي العصر البرونزي تمت صناعة الدولاب ، اما في العصر الحديدي فالتاريخ يشهد اختراع الادوات المحسنة والآلات ... وتجدر الاشارة الى الانسان اخترع الادوات والوسائل نفسها في اماكن متفرقة من العالم ، كما انه تم اختراع ادوات متشابهة في عصور مختلفة او في اوقات واحدة بشكل منفرد ومستقل عن بعضها بعضا .

يتميز عصر النهضة الصناعية ١٧٥٠ ـ ١٨٥٠ بالزيادات المتتالية والسريعة في الاختراعات المفيدة التي تلت اختراع الطباعة على يد جوهانج تنبرج Johang tenbrg في منتصف القرن الخامس عشر . ويعتبر اختراع الآلة الطابعة المتحركة اكثر اهمية من معظم الاختراعات لانها اسست بدايات مشتتة (**غير مركزية او موجهة**) لنقل المعلومات والمعارف الى عدد كبير وواسع من الافراد في مختلف انحاء العالم وتجلت فائدة هذه المعارف والمعلومات بانها كانت بداية لتجارب علمية تبعتها تطورات جديدة وسريعة في العلوم والتكنولوجيا وبعبارة اخرى ،لقد حفز توفر هذه المعلومات كل من حب الوطن فطريا في دمه او كانت لديه رغبة في حل مسالة محددة بان تمكنهم الاطلاع

على التطورات الحديثة وتحفز ابداعيتهم الطبيعية للانطلاق مخففة عنهم عبء التجارب والبحث في مواضيع تم اكتشافها من قبل الآخرين وسهل تناولها ، وبالتالي اجراء تجارب للابداع في مجالات جديدة بعد ان تم جمع اجزاء المعرفة المتوافرة واستخدامها لبنة لابداع وحدات واجزاء جديدة ومفيدة من المعرفة .

يتكرر القول دائما بان « **الحاجة هي ام الاختراع** » وان حاجات الانسان كثيرة ومتعددة لتحسين طرق الاداء ، تقليل الزمن ،التخفيف التكلفة للسلع المصنعة ... وقد سببت ظهور عدة اختراعات مفيدة والمعروف بانه في مجتمع منظم تتهيأ به مراكز البحث وافراد موهوبون فان المعارف والمعلومات يسهل الحصول عليها وتعتبر جاهزة مهيأة للتبادل ، مما يجعل عملية التحسين والاختراع في وضع يتوقع من خلاله بان تتزايد على شكل متوالية هندسية على غرار ما يحدث في سلسلة التفاعل النووي ... هذا وتجدر الاشارة الى ان الحاجة قد تكون ملحة جدا لدرجة انها تصبح ملزمة للابداع في اختراع الوسيلة ، او قد تكون ناتجة عن اختراع جبر حيث تتجدد الحاجة بزيادة الوعي . فالسجل التاريخي للاختراعات يشير الى وجود عدة اختراعات فهمت قبل وقتها ولم تظهر الحاجة اليها مثل اختراع آلة التسجيل المغناطيسي بواسطة المهندس السويدي فالد يمربولسن Vald emar pollssn منذ اكثر من ٤٠) سنة من الحاجة الى تسويق الاختراع ، كما ان بعض التركيبات الكيماوية يمكن ان يكون قد تم اختراعها او اكتشافها كمنتج ثانوي وبشكل عرضي خلال عملية البحث دون ان تكون هناك حاجة مسبقة او تصميم مسبق لاكتشافها ...

واخيرا ان الاستراتيجية التي تدعم « الابداع » او الاختراع تنطلق من استراتيجية ثلاثية الابعاد :

البعد الاول : يعتمد على مبدا الانتصار على المجهول ،واكتشاف

ما تمليه الحاجة بما يدعم ذيول الحضارة . ان هذا البعد حتى يأخذ مداه لا بد له من أن يتم » :

آ ـ دعم البحث العلمي وتطوير العلوم المجردة لاكتشاف ظواهر جديدة لتعبيد الطريق امام تطورات علمية جديدة .

ب ـ توجيه البحث نحو اكتشافات جديدة وفي الوقت نفسه توجيه الخبرات والتطبيقات الاقتصادية والعلمية للافادة مما تم اكتشافه .

البعد الثاني : يعتمد على مبدا اكتشاف الثغرات في التطور اي انه يعتمد على فهم واكتشاف ما اهمله الاخرون ، مما يتطلب المرونة المحققة في الدول الاخرى وتقليد مبدا اكتشاف المجهول واقتباس بعض المخترعات ونمط تحويلها الى منتجات . وبعبارة اخرى ان هذا البعد اشبه باسلوب « المحاكاة » وهو اقرب الى المصادفة منه الى التصميم .

البعد الثالث : يعتمد على اقتفاء الاثر او محاكاة التطور في البلدان الاخرى او في بعض فروع الصناعة . يعتبر هذا الاسلوب واسع الانتشار حتى في البلدان التي بلغت درجة عالية من التقدم مع انه صفة تلازم الدول التي تقف على ابواب التطور . وتجدر الاشارة الى ان هذا الاسلوب يعتبر ايضا اقل تكلفة ومخاطرة من الاسلوبين السابقين واقل قدرة على تحقيق انجازات « ثورية » ذات مستوى عال ، مما يجعله اسلوبا دفاعيا يمكن ان يتحول الى اسلوب هجومي اذا تحققت بعض الشروط منها :

ـ دعم العلوم التقنية والادارية بشكل يمكن من التكيف مع التطورات الخارجية وتقرير طريقة العمل ....

ـ تدعيم المؤسسات التي تمثل مستويات تقنية عالية وتامين مراكز الصيانة المناسبة والاستفادة منها في دعم وصيانة التقنيات في المواقع الاخرى .

ـ فتح قنوات حرة تتسع لاستخدام وانتقال الاختراع وزيادة المساعدة التكنولوجية للجهة المبدعة ....

٢ ـ الابداع بمعنى اتقان العمل :

من المعروف بان المخترعين يظهرون من مختلف المشارب ومحطات الحياة ، كما ان شخصياتهم ومستوياتهم الثقافية مختلفة يتميزون عموما بكونهم محبي الاطلاع ـ حشورين بالمعرفة ـ يعيشون بقناعة خاصة تجاه العمل تصل الى درجة الشغف من اجل ارضاء قناعتهم كان توماس اديسون Thomas Adison (١٨٤٧ ـ ١٩٣١) من مخترعي prolafic واشتهر بقوله بان اصل الاختراع هو ١٪ إلهام في حين ان ٩٩٪ هو عرق وتعب . كما ان وايت هيد Alfrod N.whitehead قال في مجلة العلوم والعالم الحديث عام ١٩٢٥ بان اعظم اختراع هو اختراع «اسلوب الاختراع».

سبقت الاشارة الى ان تبادل المعارف والمعلومات سهل (الموجة مناسبة) كما خفف الجهود المبذولة للابداع ، حيث يمكن للمبدع ان يستفيد من تجارب الاخرين . لذلك فان نسبة ٩٩٪ يمكن ان تكون اقل بكثير في المجتمعات التقنية وخاصة اذا كانت كبيرة يديرها المبدعون وتدعمها الحكومة كهدف للصناعة لتحريض وتشجيع الابداع ومن اجل اكتشاف الاسلوب الذي يتم بموجبه وصل الفجوة بين الافكار العلمية والمنتجات النهائية وتصبح كانها عملية هجوم منظم على مجموعة من الصعوبات تحل الواحدة بعد اخرى .

هذا وتجدر الاشارة الى ان النظرة الى التأثير غير المباشر للعلم في التطور الاقتصادي والاجتماعي قد تغيرت في بداية القرن الحالي بعد ان اتضح دوره المباشر ليس فقط في الابداع او الاختراع وانما ظهر في تنمية الوعي الوطني بشكل عام والوعي الانتاجي لدى الطبقة العاملة بشكل خاص ، واصبح المحرك الاساسي للبدء في اي

تقدم وان اهماله يسبب فشل التطور العام . فالتقدم التقني لا يحصل فقط نتيجة ادخال تقنيات عالية تعتمد اساسا على الخبرات الاجنبية كونها تشكل عامل لاستنزاف الثروة على طريق الصيانة وقطع التبديل ومستلزمات الانتاج ... كما انه **اي التقدم التقني** لا يحصل فقط نتيجة تحسين في المعرفة الفنية ، بل يجب ايضا ان يسبق او يرافق هذه المعرفة تغييرات اجتماعية تتكيف من خلالها المؤسسات الادارية والسياسية والاجتماعية بشكل ملائم لتقنية الانتاج المتجددة حتى يتم توفير المناخ الملائم الذي يسهل فهم وقبول هذه التقنيات واسلوب عملها واستخدامها . وبعبارة اخرى ، ان ممارسة السياسة الوطنية في نقل واستخدام وانتاج التكنولوجيا يشير الى دور جديد للحكومة لتامين الخبرة اللازمة في ادارة الاقتصاد وتخطيط التقدم التقني كونه مرتبطا ببقية العلوم التقنية والاجتماعية من جهة وكونه يفوق قدرة المؤسسة الواحدة لتحمل المخاطر التي سبقت الاشارة اليها من جهة ثانية . ومن جهة ثالثة نرى ان هذا الدور الجديد للحكومة لا يقتصر على الجامعات ومراكز البحث ومواقع العمل بل يتعداه ليشمل انتشار الثقافة التقنية في مختلف مجالات الحياة بدءا من المدرسة الابتدائية وانتهاء بوسائل الاعلام المختلفة على اعتبار ان انتشار العلم والثقافة العامة (بالصيغة المشار اليها) تؤثر في اسلوب معيشة السكان وعاداتهم كما ان ذلك يساهم في خلق تراث عصري للمجتمع يساعد على التنافس لاتقان العمل والتجديد والابداع ...

وعلى اية حال ، ان النظرة التي كانت سائدة حتى بداية القرن العشرين من ان الابداع واتقان العمل هو جهد وعرق بنسبة ٩٩٪ قد تغيرت الى حد كبير . لئن كان التعب والجهد الشخصي يبقى دائما هو الاساس ، الا ان الدور المحرض والموجه الذي بدا يتجلى للحكومة والادارة جعل مفهوم التطور الاقتصادي والاجتماعي هو حصيلة العمل الاداري . هذه الحقيقة التي تجلت

في الدول الصناعية (اشتراكية وراسمالية) اوجبت على الادارة (بمختلف مستوياتها من رئيس ورشة الى اعلى مستوى اداري) بان تهتم بالمفاهيم والمعايير الادارية المتعلقة بنظريات التنظيم الاداري التي توضح بجلاء تام سلوك المدراء وكيف يعملون لتدريب العاملين على التقنية الجديدة وعدم الاتكال على الخبرات الاجنبية الا في الحدود الضيقة ... وقد تبع ذلك تقويم نجاح الادارة حيث اصبح يتجلى في القدرة على الترجمة الصحيحة والتطبيق الفعلي للصيغ العلمية المتولدة عن استخدام التكنولوجيا مثل المعايير الفنية للعلاقة بين التكلفة والانتاج وراس المال والانتاجية ... ودراسة الزمن (بشكل يحدد اسلوب العمل في مراكز البحث ومواقع الالات والمزارع واعمال الصيانة ..) مما يجعل الادارة مؤهلة لان تصنع صيغا مناسبة لتوليد علم جديد من علم قديم وتوليد تكنولوجيا جديدة من تكنولوجيا قديمة ... وان تساهم في تهيئة المجتمع ليكون قابلا للتكيف باستمرار مع متطلبات ومراحل التطور . وان تكون قادرة على الاحتفاظ بالخبرات المتكونة وتنميتها ، لان مضمون تدخل الدولة استوعب المحاولات الفردية التي اضحت **(اي الكفاءات الفردية)** بقعا متناثرة في المجتمع تتحول الى مركز اشعاعي مضيء اذا تعهدتها الدولة واوجدت اسلوبا مناسبا لتحفيزها ... يدفعنا الى هذه النتيجة الاعتبارات التالية :

آ ـ ان الافراد بعد الحرب العالمية الاولى لم يعد بامكانهم ان يكونوا فاعلين بمفردهم في عملية الاختراع ، على اعتبار ان امكاناتهم الخاصة لا تتيح لهم الاطلاع على المعارف والمعلومات المتوافرة وانهم اذا وجدوا سيبدؤون من مرحلة مختلفة بالنسبة لما وصلت اليه العلوم والمعارف في مكان آخر من العالم ، وان هذه القدرة تتوافر فقط لدى الشركات الكبرى **(احتكارات وشركات متعددة الجنسية)** لان مخاطر البحث كبيرة تتعدى طاقة الشركات الصغرى في الدول النامية بشكل خاص ....

ب ـ الدولة تعتبر الجهة الوحيدة المؤهلة لتعهد البحث

والتدريب سواء لاتقان العمل والصيانة او للابداع والابتكار ... او باتباع الميكانيكية المناسبة لتشجيع الاختراع انطلاقا من مقولة وايت هيد اختراع اسلوب الاختراع : ان المدير (بمختلف مستويات الادارة) لا يشترط ان يكون مخترعا ولكنه يجب ان يحسن اختيار الاسلوب والكيفية لتهيئة الاجواء الملائمة للاختراع من خلال اجراء تحسينات تنظيمية تخطيطية لخلق اجواء المنافسة والتسابق لاتقان العمل والابداع وسن التشريعات المناسبة سواء على مستوى الدولة او على مستوى المؤسسة والمنشاة ... وعدم الاكتفاء بالنظرة الى التكنولوجيا المتقدمة كانها **صندوق اسود** لايصونه الا الخبراء الاجانب .

٤ ــ المبدع بمعنى صاحب الكفاءة :

سبقت الاشارة الى ان النظرة التي كانت سائدة في بداية القرن الحالي قد تغيرت كونها كانت تعتبر بان تأثير العلم في التطور الاقتصادي هو تأثير غير مباشر . الا ان انتشار الآلة وتطور الصناعة اظهرت الحاجة الى مايسمى بالمهارة الصناعية Industrial من اجل وضع التصميم الصناعي Industrial Desigen التي يتم بموجبها وضع تصميم الشكل المواد المصنعة التي ظهرت في اعقاب الصناعات الحرفية . فالمصمم الصناعي هو مهني ماهر متدرب على كل من وسائل الانتاج والشكل الفني الذي تخرج به المنتجات ، كما انه يتمتع بموهبة تستطيع ان تجمع بين الرغبات والحاجات لكل من الصانع والمستهلك كونه مسؤولا عن تلبية رغبة الطرفين . ومن ناحية اخرى ابرز التطور الصناعي الى مايسمى بالهندسة الصناعية لتنظيم المجتمع المهني الصناعي من خلال تخريج او ايجاد عناصر تعمل بشكل هادىء ــ عادي ــ طموح ــ تتبنى العمل الاحصائي وخاصة في دراسة الوقت اللازم للمنتج ...

من المعروف بان **و . تايلر** Winslow Tylor اوجد فلسفة تدعى **الادارة العلمية** ووضع حوافزا لفرع الهندسة حتى يتم تشكيل الهندسة الصناعية ، التي تجعل كلا من الادارة والعمال يبدلون مواقفهم من اجل ان يتعاونوا لانتاج منتجات الشركة بكفاءة الصانع وليس بحكم التجربة على غرار الصناعة الحرفية . كما اكد ان الادارة مسؤولة عن الخطة والانجاز ، في حين ان تركيز او حصر العمل في شخص واحد هو عمل غير صحيح لعدم امكانية جمع المؤهلات في رجل ما وتبقى الحاجة ضرورية لتوزيع عبء الادارة .

وعلى اية حال ، ان العصر الحالي يتميز باعتماده الكبير على التكنولوجيا التي تعني نوعا من المعرفة التي تحدد الوسيلة وان العلم يعني معرفة السبب مما يجعل التكنولوجيا ثمرة من ثمار العلم تحتضر اذا لم يشاركها العلم وان العلم يصبح عقيما اذا لم تشاركه التكنولوجيا ... وبذلك تصبح محاولات التنمية عقيمة اذا لم يرافق التغير التقني عملية انتشار العلم والمواقف العلمية لخلق المناخ الملائم لنشر المعرفة والابتكار . وللتدليل على اهمية العلم واثره في التنمية هو انه في اوائل القرن التاسع عشر تم التحول من الفحم الى البترول وفي اواخر هذا القرن تم التحول الى عصر الكهرباء وفي منتصف القرن العشرين تم التحول الى عصر الطاقة الذرية واكتشاف المضادات الحيوية والطاقة النووية واخيرا الى عصر غزو الفضاء ومارافق ذلك من رخاء عام في المنتجات الصناعية وغيرها ... وبعبارة اخرى ، ان الثورة الصناعية ومارافقها من تطور علمي ، قد اعطت بعدا جديدا في تكوين الابداع ، نتيجة التطور في مفهوم الدولة الذي تحول من صفة الحامي الى صفة رب العمل او المنظم والذي تجلى في آلية عمل الدولة لاتخاذ القرار ومارافق ذلك من اقامة الهياكل الاساسية لصنع ونقل التكنولوجيا من مدارس وجامعات وبرامج تدريب ومؤسسات البحث والتطوير والاستشارات ...

في الدول الاشتراكية تتدخل الدولة في مختلف جوانب الحياة المادية والاجتماعية ، كما انه تسود المقولة بان مصلحة الفرد تتحقق من خلال مصلحة الجماعة ، في حين ان تدخل الدولة يتجلى من خلال التدخل في التشريع الاجتماعي ومايترتب على تطبيقه في مستوى الاسعار والاجور والمعيشة ...

اما في الدول النامية فالموضوع يختلف لان كلا من هذه الدول تمثل تجمعا لبقايا الحياة البدائية الاولى ممزوجة بصور للحياة العصرية التي خلقها نقل التكنولوجيا بعدان ارادت الدول المستعمرة تحويل مستعمراتها لتولد اقتصادا راسماليا متكاملا ، مما خلق خليطا عجيبا غير متناسق . ان سياسة حرق المراحل لكسب الزمن ونقل التكنولوجيا اوقع هذه الدول بصيغه تعتمد على تقديرات الاجانب وبالتالي جعل التكنولوجيا متوقعة او كانها صندوق اسود يديره ويصونه او يستبدله الخبراء الاجانب ... مما اوقف فكرة الابداع وجعله يقتصر على الاشياء الهامشية او شبه حرفية ...

تجربة الصين تشير الى التنمية المتوازنة والمتزامنه للصناعة والزراعة وممارسة التقدم في سياق استكمال القاعدة المتكاملة المتبنية للتصنيع : صناعات استهلاكية ـ صناعات وسيطة ثقيلة ـ وسائل انتاج حيث كانت حركة الابتكار في اتجاهين اعتمدت اطلاق مبادرة الجماهير وتحقيق وحدة العمال والفنيين :

الاول : تحسين انظمة الانتاج .

الثاني : التحكم بتقنيات الانتاج .

هذا الابتكار رغم تدعيمه بما يسمى « **الثورة الثقافية** » التي اعتمدت اشكالا جديدة لتقسيم العمل من خلال « **الاشكال الثلاثة للاتحاد** » :

ـ اتحاد العمال والفنيين ـ اتحاد العمل الفكري والعمل اليدوي ـ اتحاد النظرية والممارسة حيث هيأ ذلك الى ايجاد مجموعات الابتكار شارك بها ٨٠٪ من العمال . هذه المجموعات عملت في وحدات الانتاج الصغيرة والمتواسطة التي كان لها دور كبير في التاهيل المهني ودور اكبر في الابتكار .

اما **تجربة اليابان** فقد اعتمدت على استقدام حوالي ٧٠٠ خبير في عام ١٨٧٥ و ٣٠٠٠ خبير في عام ١٨٦٠ حيث كان التلاميذ اليابانيون جاهزون ليحل كل واحد محل الخبير الذي يغادر عمله او يحل مكانه اليابانيون العائدون من بعثاتهم العملية في الخارج . ومن ناحية اخرى لقد كان النظام التعليمي يستجيب لحاجات محددة لتامين يد عاملة مؤهلة باعداد كافية وجهاز واسع من الفنيين ... **(اصلاح ميجي)**

٥ ـ تجربة القطر العربي السوري في تشجيع الابداع :

منذ البداية لابد من الاشارة الى ان « سورية » ماهي الا جزء صغير من وطن عربي كبير عانى الكثير من ويلات الاحتلال والتجزئة حتى نال استقلاله بعد الحرب العالمية الثانية . عرف المجتمع في سورية بقدرته على الابداع والتكيف مع متطلبات التطور ولكن الويلات التي عانى فيها الاكراه ـ الاحتيال ـ النهب خلال مئات السنين جعلته ينطوي على نفسه ويخضع الى العوامل الطبيعية من خلال الزراعة البدائية والاعمال اليدوية حتى فجر الاستقلال . مارس جهوده التنموية قبل حين من الاستقلال الا ان مسالة التنمية يمكن ان نصفها باختصار لنقول بأنها ذات بعدين :

ـ البعد الاول : مادي اذ لا يمكن أن تتم التنمية من لا شيء ولابد من راس مال بحجم معين للانطلاق بها ..

ـ البعد الثاني : اداري تنظيمي ذلك ان التنمية تمر بمراحل يمكن اختصارها كما يقول « توفيتسكي » الى مرحلتين : مرحلة

التنمية الواسعة وتعتمد على فرش المجتمع بمشاريع واعمال لنقله من حالة الركود والتقوقع الى حالة الانطلاق والعمل ... والمرحلة الثانية هي مرحلة التنمية المكثفة حيث تعتمد على اتقان العمل واعتماد اسلوب الادارة العلمية المعتمدة على معايير ومعاملات فنية تعتبر مقياسا للعمل والادارة بدلا من اسلوب الادارة على طريقة ورشة عمل ...

وعلى اية حال مارست سورية اسلوب التنمية الواسعة بعد الاستقلال وتجلت بشكل مابعد ثورة آذار ١٩٦٣ حيث بدات الاصلاحات الادارية والاقتصادية المتمثلة بتاميم اهم المعامل والشركات وتطبيق قانون الاصلاح الزراعي وممارسة العمل الشعبي لتخفيف وطأة الحاجة الى راس المال ... الا ان هذه الاجراءات والتعديلات والاصلاحات رغم اهميتها وكونها نقطة انعطاف في تاريخ القطر فقد كانت تقتصر عن جزء بسيط من النشاط الاقتصادي وكان لابد من اعطاء التنمية الواسعة مضمونها الحقيقي من جهة ، ولكي يستطيع المجتمع الانتقال الى المرحلة التالية : **مرحلة التنمية المكثفة ... لذلك قامت الحركة التصحيحية في عام ١٩٧١ التي قادها الرئيس المناضل حافظ الاسد لتحقيق هدفين :**

الاول : تدعيم الاستقلال السياسي والسيادة الوطنية فوق ارض الوطن وكان من نتائج هذا الهدف معارك تشرين التحرير عام ١٩٧٣ وكسر حاجز الوهم المخيف بالتفوق التقني الاسرائيلي واثبات الجدارة والقدرة التي يتمتع بها المواطن من خلال القيادة الحكيمة وبالتالي الانطلاق نحو تنمية تحقق السيادة الوطنية من خلال الاعتماد على الموارد الذاتية (مادية وبشرية) وخلق مجتمع الابداع . على اعتبار ان مهمة تعزيز الاستقلال السياسي والسيادة الوطنية تستوجب موقفا نضاليا حازما لاتخاذ القرار اللازم .

الثاني : قيادة التنمية الاقتصادية والاجتماعية واتباع سياسة حرق المراحل لتقصير الزمن اللازم لانهاء مرحلة التنمية الواسعة من اجل الانتقال الى مرحلة التنمية المكثفة ، حيث يكون المجتمع قد تخلص من العوائق التي تكبح مبادراته وقدرته على الابداع والتجديد ، وبالتالي تدعيم مايسمى « **كبرياء المواطن الوطنية** » التي تنمو مع نمو الانجازات التي يحققها المجتمع خلال مسيرة التنمية وعلى اية حال ومن اجل دفع وتيرة العمل واطلاق المبادرات للتحرر من الروتين في التنفيذ فقد شكلت ماسمي « **لجان الاقلاع** » ولجان الانجاز واعطيت المكافآت وصدر المرسوم ١٨ لعام ١٩٧٤ الذي خول المدراء صلاحيات واسعة لاطلاق مبادراتهم في تشريع العمل وقيادته وجعل ارتباطهم فقط مع **الوزير المختص** مما ساهم في ان تكون سورية ميدانا لمجموعات من ورشات العمل لبناء سورية الحديثة . توسع القطاع العام واخذ بعدا جديدا في النفوذ وفي توجيه الاقتصاد سواء من حيث الرقابة او التخطيط اوتطوير المناطق المتخلفة . شمل ذلك تطوير الصناعات الاستخراجية للنفط والفوسفات ـ اقامة معامل جديدة وتوسيع المعامل القديمة، نذكر على سبيل المثال معامل ومنشآت لصناعة الاسمدة والورق والجرارات والحديد وتكرير النفط والغزل والنسيج والزجاج والاسمنت وصناعة المنتجات المعدنية والهندسية وانشاء المشافي والمدارس والجامعات وخطوط المواصلات والاتصال السلكي واللاسلكي وتمديد شبكات الكهرباء لتنوير الريف والمدينة واستصلاح الاراضي واقامة السدود الكبيرة والصغيرة والصناعات الريفية . وليس الهدف هنا تعداد الانجازات والاعمال وانما الهدف الاشارة الى انه **خلال عشر سنوات من حرب تشرين تم نقل المجتمع بشكل كامل من حالة المراوحة والركود الى حالة الانطلاق ، ومهد الطريق**

للانتقال الى المرحلة التالية : مرحلة الابـداع والتجديد ، مرحلـة التنمية الكثيفـة .

هذا وتجدر الاشارة الى ان القول بأن مرحلة التنمية الكثيفة هي مرحلة الابداع والتجديد لايعني بأن المرحلة التي تسبقها ليس فيها ابداع او اتقان للعمل ، بدليل ان مرحلة التنميـة الواسعة في القطر قد نفذت على درجة كبيرة من الاتقان سـواء في التخطيط او التنفيذ ، الا ان المقصود هو انه في هذه المرحلة يكون الاهتمام منصبا وموجها على الانشاء ونقل التقنية . وبعبارة اخرى ، ان الاهتمام هو من اجل اشادة الابنية والمنشآت وتركيب الآلات ومايرافق ذلك من اعمال متعددة وواسعة حيث تتركز الخبرة وتتبلور في الاعمال التي تسبق عملية الانتاج او جني المحصول او قطف الثمار والنتائج ان الخبرات التي تكونت في المجتمع خلال الفترة السابقة سواء على مستوى قطاع الدولة او القطاع الخاص على مستوى القطر او على مستوى المنظمات العربية والدولية تعبر عن الطاقة الابداعية المتولدة او التي يمكن توليدها في المستقبل . هذه الطاقة تعبر عن القدرة على التكيف مع متطلبات المرحلة والقدرة على اتقان العمل بالحدود التي تمت ممارستها او التدرب عليها في مجال بناء السدود او المنشآت الرياضية او استخدام الآلات والمعدات والتجهيزات في المعامل ومحطات توليد الكهرباء وتكرير النفط وصناعة الاسمدة واستخراج النفط ... ولكن تبقى المرحلة التالية التي تنجم عن استخدام هذه الآلات والمعدات . كانت المرحلة السابقة تعتمد على الاستيراد في عملية نقل التكنولوجيا بما فيها القطع التبديلية واجراء الصيانة لبعض الآلات الدقيقة او المعقدة . وربما كانت التسهيلات المعطاة سببا في ان يتم الاستمرار في الاستيراد دون ان تعطي مسألة الصيانة وتصنيع قطع التبديل او الاجزاء البسيطة دورا يذكر ، وذلك بغية الاسراع في الانجاز من جهة والانتقال الى مشروع جديد لانجازه ايضا ، سواء كان ذلك بدافع الاستمرار بتامين مراكز عمل،

لاستكمال نشر المشاريع والمنشآت ، او لسهولة ممارسة العمل في هذا الاسلوب (طريقة الورشات) ....

النتيجة الطبيعية لعملية الانتقال من مرحلة التنمية الواسعة الى المرحلة المكثفة هي مواجهة عدد من الصعوبات يأتي في مقدمتها :

- ظهور موضوع البطالة المقنعة .
- زيادة نسبة المستوردات بالنسبة للصادرات .
- هروب الادمغة الوطنية او قلة تشجيع توليد كفاءات جديدة في مراكز البحث وتنمية الكادر الفني في المراكز الادارية .
- ارتفاع تكاليف الانتاج وضعف القدرة التنافسية للصناعة المحلية ...
- عدم التقيد بالحجم الامثل للمنشآت في كثير من الحالات وبالتالي الوقوع بتبذيرات الحجم .
- عدم التكامل بين المشاريع التابعة للقطاعات الاقتصادية المختلفة وخاصة بين المشاريع الصناعية لتصنيع وتصريف الانتاج الزراعي ...
- ظهور ميل قوي للاستهلاك وضعف الميل نحو الادخار بسبب الاعتماد على طريقة العمل السابقة وعدم ادراك ان هناك نهاية لمرحلة التوسع في التنمية من قبل الكثيرين .
- توليد تقاليد في العمل الاداري لاتتناسب مع التقاليد المطلوبة في مرحلة التنمية المكثفة لسببين :
- القرار في مرحلة التنمية الموسعة يعتمد على البداهة وعوامل اجتماعية متعددة .
- القرار في مرحلة التنمية المكثفة يعتمد على اعتبارات علمية

اقتصادية تشجع البحث والدراسة وتعتمد على معايير نمطية تتعلق بالتكلفة ـ الاسعار ـ التنبؤ بالتغيرات البنيوية للاقتصاد ـ استخدام النماذج الرياضية ـ الانتاجية ...

ـ استخدام غير دقيق لاسلوب الحوافز المادية كونه لايعتمد ربط الحافز بالتكلفة ...

ـ ضعف نمو المهارات في القطاع الخاص الا في مجال الحرف والاعمال الفردية .

ـ عدم ملاءمة السياسة الاجرية مع تطور المهارة والكفاءة ...

وعلى اية حال ، تطور آلية العمل في الدولة بعد ايجاد هيئة التخطيط التي اعطيت مهمة اعداد خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتعبئة الموارد والطاقات المختلفة في القطر لتنفيذها معتمدة المبادىء الاشتراكية في التخطيط ومنجزات العلم والتقنية . كانت تجربة القطر بعد الحركة التصحيحية مليئة بالاعمال والتنظيمات التي تساعد في تكوين مناخ ملائم لاتقان العمل ، حيث تم توجيه الجهود وتعبئتها لنشر التعليم اولا في مختلف مستوياته متمثلا بنشر المدارس واقامة الجامعات بفروعها المختلفة والايفاد الخارجي لتامين التحصيل العلمي في مجالاته المتعددة : علوم اساسية ـ علوم فنية ـ علوم اجتماعية كاجراء اساسي في سبيل تقصي طرق جديدة في المعرفة ولتكوين معرفة سليمة في تطوير العلوم الادارية وادارة الاقتصاد وتخطيط التقدم التقني باتجاه التجديد والابتكار .

هذا وتجدر الاشارة الى انه من اجل تدعيم هذا الاتجاه فقد تزامن العمل باتجاهين :

الاتجاه الاول : سار بالاهتمام في موضوع تنظيم آلية العمل في الدولة من خلال اقامة مراكز البحث العلمي في مجالات العلوم الاساسية والتطبيقية مثل معهد العلوم والتكنولوجيا ـ هيئة

الطاقة النووية ـ هيئة الاستشعار عن بعد ـ الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية ـ المؤسسة العامة للجيولوجيا والثروة المعدنية ـ المؤسسة العامة للدراسات والتصاميم الهندسية ... كما اقيم في عدد من الوزارات المخابر ومراكز البحث المتخصصة واتبع لها المعاهد المتوسطة في مجال الزراعة وصناعة النسيج والكيماويات والهندسة المعدنية والآليات الزراعية والمهن النفطية والخدمات السياحية ... بالاضافة الى مراكز الدراسات والتاهيل والتدريب ... يضاف الى ذلك ، ومن اجل تعميق التخصص في العمل وزيادة الكفاءة فقد اتبع نظام المؤسسات والشركات المتخصصة في مهنة ما او صناعة ما ، حيث اصبحت الدولة وكانها دولة مؤسسات تعمل في مختلف المجالات الانتاجية والخدمية مما يساعد على تكوين المهارة والخبرة في العمل .

اما الاتجاه الثاني : فقد سار بالاهتمام في موضوع تنظيم المجتمع شعبيا وسياسيا حيث تم اقامة الجبهة الوطنية التقدمية واقامة التنظيمات العمالية والفلاحية والنسائية والحرفية والمنظمات الطلابية والشبيبة والطلائعية ...

واخيرا نرى انه من المناسب الاشارة الى ان ايجاد وزارة للادارة المحلية وتعميم الدور المكاني للمجتمع يعتبر عنصرا هاما في بعث روح الشعور بالمسؤولية ضمن المحافظة او المنطقة من خلال المجالس على مستوى المدينة والحي ... وقد اضاف القطاع المشترك عنصرا جديدا في بعث مايمكن تسميته «**وطنية راس المال**» كدافع يجذب ويستقطب من توافرت لديه سيولة مادية من اجل استثماره بالمشاركة مع قطاع الدولة بحيث يمكن القول بان كل الفرص اصبحت متاحة امام من يشعر أن عنده طاقة سواء للابداع في مجال التنظيم وترتيب العمل الاداري او مجال المشاركة في اقامة المشاريع او في مجال الابتكار والتجديد المادي . كذلك اصبح من

الممكن القول بان **المواطنية للمواطن يمكن ان تقاس بدرجة مساهمته بدفع العمل وتجميع الافكار الخلاقة للبناء والتجديد ...**

٦ ـ ملاحظات حول تنشيط الابداع وتشجيع المبدعين :

آ ـ تبنت جميع الامم المتحضرة نظام براءة الاختراع لترويج المخترعات الجديدة وعرضها للتبادل واعطاء بعض الحقوق الهامة للمخترع لعدد من السنين . تعتبر « براءة الاختراع الوطنية » اهم المحفزات لتشجيع المخترع عندما توجد الفرصة لتقديم استثمارات مربحة لتطوير الانتاج والتسويق للمخترعات الجديدة ، الا ان المشكلة في الانتاج الكبير والمربح هي انه يسبق عادة باستثمارات تحتاج الى عدة سنوات لتأسيس الصناعة الجديدة مما يشكل خطراً على المخترع يصعب عليه المجازفة بها خاصة اذا كانت المبالغ المستثمرة كبيرة . مثال : في اواخر العشرينات كانت كلفة ابحاث تطوير وانتاج النايلون ٥ مليون دولار و١٩٧ مليون دولار للتسهيلات الصناعية ، الامر الذي حصر عملية المخاطرة باقامة الصناعة على الجهات المليئة مثل الشركات الكبرى وقطاع الدولة ، حيث تشتري براءة الاختراع ممن يحمل شهادة اختراع وتستثمرها .

صدر في سورية المرسوم التشريعي رقم ٤٧ تاريخ ٩ / ١٠ / ١٩٤٦ لتنظيم حماية الملكية التجارية والصناعية وعدل بموجب القانون رقم٢٨ للعام ١٩٨٠ حيث اعطي المخترع بموجبه « شهادة اختراع » من مكتب الحماية في وزارة التموين لمدة / ١٥ / خمس عشرة سنة . صحيح ان الابداع هو ٩٩٪ تعب وعرق كما قال توماس اديسون وان من تشرب حب الوطن في دمه يكون اكثر اندفاعا لفهم معطيات العلم والمعرفة ولتحقيق الابداع او لتحفيز ابداعيتهم الطبيعية لكي تنطلق الا ان ذلك كله لابد له من رؤية جماعية ابداعية اكثر مما هي فردية تختلف عما كانت عليه الامور في الثلاثينات وما قبل ، لتعديل الصيغة وجعلها تشمل « مجموعات ابداعية » .

ب ـ سبقت الاشارة الى العلاقة الوثيقة بين العلم والانتاج على اعتبار ان المعرفة تنتج عن العلم وان التكنولوجيا هي ثمرة المعرفة وتساعد على انتاج الثروة . ان التكنولوجيا تندثر اذا لم يشاركها العلم مما يوجب بناء معرفة عصرية وثقافة تقنية على مختلف مستويات المجتمع وبالاخص على مستوى الطبقة العاملة واعتبار الثقافة التقنية صفة ملازمة للثقافة الاجتماعية والسياسية سواء من خلال دورات التدريب والتأهيل او من خلال برامج التعليم . لذلك تبدو الحاجة ملحة الى دعوة علماء الاجتماع وواضعي برامج التدريب الى صياغة جديدة للمناهج وخاصة في الكليات التقنية (هندسة) لانها تعالج معلومات نظرية تكنولوجية لاتساعد الخريجين على معرفة تركيب المواد وتصنيعها ، التي تعتبر بدورها عنصرا اساسيا للانتقال من التصميم التقني التقليدي الى استخدام واستعمال علم المعلومات . كذلك تبدو الحاجة ملحة للاشارة الى ان الثقافة بالمعنى العام تعني الزيادة في المهارة او التطور في المعرفة كحصيلة لما يكتسبه الفرد من برامج التعليم الرسمية او مما يحصل عليه من المنزل وبيوت العبادة والجمعيات والمراسلات واجهزة الاعلام المختلفة ... لئن ساهمت الثقافة (في الماضي) في الحصول على الاستقلال السياسي فانه من الضرورة ان تصاغ بشكل يجعلها تساهم في زيادة التنمية وربط المواطن بوطنه لزيادة الاندفاع لفهم التقنيات وحسن استخدامها والابداع بها ...

ج ـ من المعروف بان العقل العربي ابدع في فترات الانفتاح على التراث الانساني واصيبت ابداعيته بالجمود بفعل الغزوات الخارجية والتقوقع في اجترار الماضي . وبعبارة اخرى ، ان الطريق الى التقدم العلمي يبدأ باحداث تغيير حقيقي في مناهج تفكيرنا واسلوب عملنا والتشبع بمنهج علمي يتيح لنا التعايش مع العصر والتأثير فيه . ان عملا كهذا يشير الى الحاجة للمشاركة الخلاقة للعلماء ومساهمتهم في تطبيق المعرفة والاساليب ومايتبع ذلك من

صياغة جديدة للمعرفة والاساليب الموجودة لتحسين اسلوب عمل الادارة كونها المفتاح لانجاز المهام والوظائف ... من هذه الرؤية نرى ضرورة وجود صيغة للبحث متكاملة تتناول البحوث الاساسية.

ـ بحوث على مستوى الادارة العليا للاقتصاد (نظري وتطبيقي) تتناول التنبؤ بالتغيرات البنيوية في الاقتصاد.

ـ بحوث في الادارة الدنيا في الدرجات الاولى والثانية والثالثة للترشيد الشامل والتنظيم العلمي للعمل ...

ـ بحوث في مجال صوغ طريق للحياة.

وبعبارة اخرى، تجدر الاشارة الى ضرورة وجود ١ ـ معاهد نظرية ـ ٢ ـ معاهد البحث التطبيقي والنظري على مستوى وزارة تعالج المالية ـ الاسعار ـ علوم تقنية ـ ٣ ـ معاهد اقتصاد نقي لها علاقة بمختلف الفروع الاقتصادية ـ ٤ ـ تخصيص نسبه من الدخل القومي لصالح البحث تتراوح بين ٢ ـ ٣ ٪ او ان تتزايد مخصصات البحث بمعدل ٢٠٪ سنويا.

د ـ من المعروف بان التنمية العلمية ترتبط ارتباطا وثيقا بمقتضيات الامن العسكري وان الصراع العربي الصهيوني يعبر عن ماساة الغزوات المتصلة بالوطن العربي كونه يستنفد الكثير من الطاقات التي يمكن توجيهها الى التنمية مما جعل « كل قطرة عرق نبذلها زمن السلم، توفر قطرة دم زمن الحرب » كما قال الرفيق الامين العام للحزب المناضل حافظ الاسد، لان مانبذله في سبيل التنمية الاقتصادية ومانحققه من انجازات تساعد على زيادة ارتباط المواطن بوطنه وتنامي الشعور بالمسؤولية للحفاظ على التقدم والمكتسبات المحققة وبالتالي يصبح السلوك العام للمجتمع سلوكا عقلانيا يقتضي السبل للتقنين في الاستخدام والاستهلاك. كذلك، فان « التنمية بجوانبها الاقتصادية والاجتماعية هي حاجة وطنية ملحة ويجب ان تستمر بحركة متسارعة ومتصاعدة لان الحياة لاترحم المتخلفين » كما قال الرفيق

المناضل حافظ الاسد وذلك من اجل التمييز بين حالة التنمية العفوية وحالة التنمية في ظل الجهد والارادة والعلم وقد شبه W. Jurewicz لنا هذه الحالة بالمقارنة بين عملية نقل الماء على مبدا الاواني المستطرقة والتفريغ من الهواء وبين العمل على مبدأ الضخ. ان القوة الدافعة في هذا المجال تتجلى بمشاركة العلماء ومساهمتهم في تطبيق المعرفة والاساليب في ثلاث مراحل: مرحلة وضع السياسة العامة ـ مرحلة اتخاذ القرار ـ مرحلة التنفيذ. وبعبارة اخرى، ان الرغبة والحاجة لتغيير بنية الاقتصاد يجب ان يتم بتبني العلم في مضمونة وليس كعنصر خارجي او دخيل بل كجزء عضوي منه، يتم من خلالها عدم استهجان استخدام المؤشرات العلمية في الادارة مثل: المعايير المادية في الانتاج ـ انتاجية وحدة راس المال ـ انتاجية العامل ـ التكلفة المعيارية الاجور ... ان استخدام هذه المؤشرات في التخطيط يجب ان تعامل ليس كأحد عناصر العمل الاداري وحسب بل كوسيلة للتحريض تظهر الكفاءة في العمل.

هـ ـ من المعروف بان صوغا مناسبا لآلية الاجور تحرض المبادرة للعاملين في الاتجاهات التي تتطلبها حالة التطور الاقتصادي والاجتماعي وتصبح العامل الرئيسي الذي يحرض عملية الاصلاح في اسلوب الادارة. سياسة الاجور الحالية لاتراعي الدور المطلوب في تحريض التنمية بل تختلف من فرع اقتصادي لآخر. بغض النظر عن الاختلاف في وجهات النظر فان مرحلة التطور الاقتصادي في القطر تتطلب اعادة صوغ آلية الاجور بشكل ينعكس على زيادة الكفاية في انجاز العمل واستخدام المعدات والتجهيزات والآت والمواد الاولية ... ان زيادة الكفاية في استخدام المواد والآلات تتطلب اعادة النظر في آ ـ اسلوب دفع الحوافز الانتاجية ليرتبط الحافز بالزيادة في كمية الانتاج وفي تخفيض التكلفة بوقت واحد .. ب ـ اقرار مبدا

دفع الاجر حسب نوعية العمل من اجل التمييز بين الاعمال الفنية التي تتطلب اجرا يحرض العامل على تكريس جهده خالصا للعمل وبين الاعمال الاخرى العادية ... تجدر الاشارة الى طبيعة العمل تعطى في ظروف وشروط تستحق الدراسة وتحتاج الى اعادة نظر..

و ـ المباشرة بتحديد الصناعات او المعامل اوالشركات التي لها صفة قيادية في تحريض التنمية كالاسمدة والحديد واعطائها الاولوية في تطبيق المبادىء العلمية ـ الاقتصادية ثم الانتقال الى صناعات رائدة اخرى حسب توفر مستلزمات التطبيق .

هذه الامور وغيرها تعتبر اساسية لتكوين الكادر الفني والاحتفاظ به من جهة ولتكوين مهارات متجددة يمكن استقطابها .

دراسات تنظيمية

أسس ومبادئ القيادة الحزبية للاقتصاد الوطني..

الرفيق : د. ناصر عبيد الناصر

يعد حزب البعث العربي الاشتراكي القوة المنظمة والموجهة والقائدة لمجتمع التقدم والاشتراكية ، وقداحتل حزبنا هذه المكانة المتقدمة بفضل اهدافه المبدئية وقيمه النضالية ، وسياسته الحكيمة ، التي التفت حولها الجماهير الكادحة كونها تعبر عن تطلعاتها وطموحاتها في الوحدة والحرية والاشتراكية .

ان النشاط الايديولوجي والسياسي لحزبنا ينطوي على مضامين غنية تتجلى ب :

اولا : العلاقات السياسية التي تنشا بين طبقات وشرائح المجتمع ، بالاضافة الى العلاقات التي تقوم بين قطرنا والاقطار الشقيقة والدول الصديقة وهذه العلاقات يفرزها مباشرة النظام الاقتصادي السائد ، وليس بمقدور الناس أن يفروها على هواهم ، بل ان كل جيل ملزم بان ياخذها في الحسبان ، كونها عوامل موضوعية تتوضع في سياق العملية التاريخية ، ولا تتبدل وتتغير الا في سياق الثورة الاجتماعية التي تحدث انقلابا في البنيتين الفوقية والتحتية وهذا ماحققته ثورة الثامن من اذار التي قدمت لنا نموذجا متميزا من الممارسة السياسية المبدئية والثورية .

ثانيا : تمثل السياسة شكلا من اشكال الوعي الاجتماعي الذي تندرج فيه مجموعة الاراء والافكار والمعتقدات التي يعتنقها الناس وفي ضوئها يتحدد موقفهم من قضايا النضال القومي والتحرري .

ثالثا : يتوقف تاثير السياسة في الحياة الاقتصادية على التوازن الطبقي والخصائص المحلية الملموسة والظرف الدولي . فالسياسة تعكس وبشكل مباشر طبيعة النظام الاقتصادي ، وتعبر عن المصالح الاقتصادية للمجتمع .

لقد اولى حزبنا المسالة الاقتصادية اهمية خاصة ، معتبراً التنمية الاقتصادية الشاملة ، بمثابة المفتاح لحل المهمات السياسية والوطنية والقومية ، كما ركز حزبنا على الاقتصاد بوصفه احد العوامل الاساسية في بلوغ التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني .

وفور تصدي الحزب **لقيادة الدولة والمجتمع** ، تم اقرار المنهاج المرحلي لثورة الثامن من آذار . والذي يتضمن مسحا شاملا للواقع الاقتصادي وتقويما دقيقا للمعطيات الاقتصادية ، ورؤية ثاقبة لاتجاهات التطور المنشود . فالمنهاج المرحلي يمثل بحق برنامج عمل يمكن من الاطاحة بالتخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي هو نتيجة مباشرة للماضي الاستعماري الاليم . فالنموذج الاستعماري للتخلف يزيد من صعوبة بناء القاعدة المادية التقنية للاشتراكية ، ولكن بفضل السياسة الاقتصادية الهادفة التي انتهجها حزبنا تم احراز خطوات ملموسة على طريق احلال العلاقات الانتاجية الاشتراكية محل العلاقات الانتاجية الراسمالية المشوبة بالعلاقات الاقطاعية .

بعد انتزاع السلطة السياسية من جانب الجماهير الكادحة ممثلة بحزبها الثوري ، برزت اهمية القيادة الحزبية ودورها في رسم السياسة الاقتصادية بوصفها مجموعة من الافكار والاحكام والاجراءات والتدابير المعللة علميا . وتندرج في اطارها الاهداف الاستراتيجية والتقنية للتنمية الاقتصادية الى مجموعة الاجراءات التي يمارس الحزب بواسطتها قيادة الاقتصاد الوطني .

من دون شك ان اي حزب يتصدر قيادة الدولة يضع لنفسه سياسة اقتصادية ، غير أن مضامينها ومحتوياتها تختلف من دولة الى اخرى . فالاحزاب البرجوازية تعتمد سياسة اقتصادية تمثل مصالح الطبقة السائدة ، بينما تنهج الاحزاب الثورية سياسة اقتصادية تعبر عن طموحات وتطلعات الجماهير الكادحة كافة . وفي هذا يكمن سر تفاني المؤسسات الرسمية والشعبية وسهرها على تنفيذها .

وسر نجاح القيادة الحزبية للاقتصاد الوطني يكمن في اقتناع الجماهير بصواب السياسة الاقتصادية للحزب ، وتشكل هذه القناعة الضمانة الاساسية لترجمتها على أرض الواقع ، ولهذا فان حزبنا يحرص على تطوير وعي الجماهير عبر

مؤسساته التربوية والاعلامية والثقافية ، ايمانا منه بان النضج السياسي يحصن الجماهير من ضيق الافق والمحدودية وعدم القدرة على اتخاذ موقف مبدئي ازاء الاحداث العربية والعالمية ، اذ ان سعة الافق المعرفي والممارسة النضالية يحولان دون الانحراف عن الاهداف المنشودة ويساعدان في تمييز التناقضات الرئيسية من الثانوية .

بالطبع لا يقتصر دور الحزب على وضع استراتيجية وتكتيك التنمية الاقتصادية فحسب ، وانما يتخطاه ليشمل ممارسة قيادة سياسة الاقتصاد ، عبر استنفار قواعد الحزب وجماهيره ممثلة بمنظماتها الشعبية والنقابية . فالحزب لايستطيع بالاعتماد على أعضائه فقط ان ينجز مهام **البناء الاشتراكي فلا بد من أن يتصدر** قيادة الجماهير من أجل الهامها وتنظيمها وتعبئتها وتجنيد قدراتها باتجاه :

أ ـ الاطاحة بالتبعية الاقتصادية للسوق الراسمالي والتي يتفرع عنها التبعية للراسمال الاجنبي والتبعية المالية والتبعية في مجال توريد الالات والمعدات والمواد الغذائية .

ب ـ تحقيق حركة التصنيع مع اخذ مزايا التقسيم الدولي للعمل بعين الاعتبار .

جـ ـ حل المسالة الزراعية لصالح الفلاحين عملا بشعار الارض لمن يحرثها

د ـ تطوير الخدمات من نقل ومواصلات واتصالات سلكية ولاسلكية .

واليوم تتجه جهود القيادة السياسية وسلطتها الرسمية لتوظيف منجزات الثورة العلمية ـ التكنولوجية في جميع مناحي الحياة من أجل الانتقال من التطور الاقتصادي الافقي الى التطور الراسي . بالاضافة الى تطوير صيغ الديمقراطية الشعبية ومكافحة البيروقراطية والتسيب واللامبالاة وفرض الانضباط وهيبة القانون .

صيغة العلاقة بين السلطة والحزب :

هناك علاقة تبادلية بين قيادة الحزب وقيادة الدولة فكلاهما يرتكز على اساس اقتصادي ـ اجتماعي واحد ، فالجماهير تساهم في قيادة الاقتصاد والسياسة بواسطة الحزب والدولة . فالحزب لا ينسق العمل الاداري والاقتصادي والسياسي للدولة فحسب ، بل يقود جهاز الدولة ويوجه نشاطه طبقا للاهداف والمهام التي تطرحها الجماهير الكادحة .

فالحزب ينظم ويضبط سلطة الدولة ، كما يقوم باختيار وتوزيع الملاكات

القيادية لادارة مؤسسات الدولة - وحزبنا بوصفه الشكل الاعلى لتنظيم الجماهير الكادحة ، ينسق ويوجه نشاط المنشآت والمؤسسات التابعة للدولة مع مراعاة سيادتها فهو لا يحل محلها ولا يطمح لذلك ، بل يؤمن استقلاليتها .. وقد حددت أدبيات الحزب بوضوح صيغة العلاقة بين الحزب والسلطة .

لا بد من التفريق بين **السلطة والحزب** ، قبل كل شيء ، لابد من القول أن الحزب شيء والسلطة شيء آخر ، غير أن هذا في الوقت نفسه لا يعني انهما نقيضان . ان انجاز بناء المجتمع الجديد هو غاية الحزب ، والسلطة هي الوسيلة بيد الحزب والجماهير لبناء هذا المجتمع الجديد .. ان السلطة في نظام الاستغلال هي اداة قمع بيد الطبقة المالكة لوسائل الانتاج ، في حين أن السلطة الثورية هي أداة بيد الجماهير لاسقاط الاستغلال نهائيا واقامة علاقات اشتراكية جديدة (1).

لقد استبعد حزبنا الازدواجية في العمل وحلول مؤسسات الحزب محل هيئات الدولة والتدخل بتفاصيل وجزئيات عملها اليومي . فلا يجوز الخلط بين وظائف مؤسسات الحزب ووظائف أجهزة الدولة ، ومثل هذا الخلط يحصل على صعيد الممارسة وتترتب عليه نتائج سلبية .

ان هيئات الدولة ملزمة بتنفيذ قرارات وتوجيهات الحزب الذي يقود نشاطها ولا يحل محلها . فالمؤسسات الحزبية لا تحل محل الادارة المحلية والنقابات والتعاونيات . كما ان المؤسسات الحزبية لا تتدخل في القضايا الانتاجية والفنية الصرفة ، ولا تؤدي وظائف السلطة ، جاء في المسألة التنظيمية :

ان دور الحزب القائد هو دور المرشد السياسي للسلطة ، وهذا يعني ان استيلاء الحزب على السلطة يجب ان لا يؤدي الى ذوبانه فيها ، فالسلطة اداة تنفيذ والحزب اداة اشراف وتوجيه وتخطيط للسلطة وصلة وصل بينها وبين الجماهير (2) .

ومن الطبيعي ان يتشابك النشاط التنظيمي والايديولوجي والسياسي للحزب والسلطة ، في ظل التنظيم المعقد لادارة الاقتصاد الوطني ، التي تتطلب من القيادة الحزبية أخذ العوامل المادية والسياسية والايديولوجية في الحسبان وتفهم مضامينها بمزيد من العمق . فأحيانا يصعب تحديد من أين يبدأ او أين ينتهي عمل أجهزة الدولة ، ومتى وكيف تتدخل مؤسسات الحزب . فالحزب كقائد للدولة والمجتمع وبحكم موقفه السياسي ، يقود أحيانا وبصورة مباشرة

(1) المسألة التنظيمية ص ٣٤

(2) المسألة التنظيمية ص ٣٦

بعض الانشطة او بعض أجهزة الدولة . من هذا المنطلق ينبغي التمييز بين وظائف الدولة والحزب في ضوء طبيعة العمل وحجمه ومضامينه .

كما يفترض تحديد حقوق وواجبات المؤسسات الحزبية وأجهزة الدولة حتى لا تختلط الاوراق وتضيع حدود المسؤولية في خضم التداخل والتنازع على الصلاحيات .

ومن حيث المبدأ ينصب نشاط المؤسسات الحزبية باتجاه المسائل الاساسية المتعلقة بسلطة الدولة ، بالاضافة الى القضايا الاقتصادية الجذرية والامور التاريخية التي لها دلالة سياسية ، فالمؤسسات الحزبية المتسلسلة معنية بحل كلّ الوقائع والقضايا من الوجهة السياسية دون أن تأخذ على عاتقها امر حل المسائل التي تتطلب المعارف المهنية والتي هي من صلاحية هيئات الدولة ، اي من صلاحية الموظفين والمختصين . وقد حذر الحزب من مغبة .... **ان يتحول الحزبيون من ثوريين ممثلين لمصالح الجماهير الى بيروقراطيين ، اي الى موظفين موضوعين فوق الجماهير يمارسون الوصاية عليها ومعرضين لجميع مغريات السلطة** وبالطبع (1) هذا لايعني أن لا ينسق نشاط ادارات الدولة ويتسلم مفاصلها الاساسية الحزبيون ، فليس من المعقول تنفيذ السياسة الاقتصادية للحزب باستبعاد كوادره ، واستمرار العناصر البرجوازية والانتهازية تسير دفة الحكم .. ان وجود الحزبيين في مواقع قيادية في السلطة وفي الاجهزة الادارية ، يعني انهم في مواقع مسؤولية خطيرة وليسوا في مواقع امتياز خاصة (2) .

ان قيادة الحزب تختلف وتتميز عن ادارة الدولة ، كونها تتحقق بموجب قرارات وتوصيات معللة علميا ، ذوات صفة آمرة وملزمة ، وتتناول القضايا العامة ذوات الوجهة السياسية بعيدة المدى :

ا ـ رسم الخط السياسي والاقتصادي العام ، اي رسم سياسة الدولة على الصعيدين الداخلي والخارجي .

ب ـ توحيد وتنسيق نشاط الهيئات الحكومية واداراتها لما فيه مصلحة المجتمع .

جـ ـ اختيار وتوزيع الكوادر الحزبية على الملاكات الادارية .

د ـ تعبئة الجماهير وتجنيد طاقاتها من اجل تنفيذ سياسة الدولة هي في المحصلة سياسة الدولة التي هي في المحصلة سياسة الحزب .

(1) المسألة التنظيمية .

(2) المصدر نفسه .

هـ ـ الرقابة الحزبية والسياسية على جميع اجهزة الدولة .

و ـ ضمان الطابع العلمي الاشتراكي وتكريس الاسس العلمية في ممارسة الادارة .

ويسعى حزبنا لتطوير سلطته الرسمية ، لتواكب متغيرات العصر التي تفرزها معطيات التقدم العلمي والتكنولوجي . وبهذا الخصوص اوصى المؤتمر القطري الثامن بـ (تحديث الية العمل في الدولة وتطوير العلاقات الادارية والقانونية في مختلف المؤسسات ، بما يجعلها اكثر قدرة على خدمة الشعب وتلبية احتياجاته) (١) كما اكد المؤتمر على المكتب القانوني في القيادة القطرية بضرورة اعادة النظر بكل التشريعات والقوانين وذلك بغرض تحديث وعصرنة الية الدولة . فضلا عن تطوير صيغة العلاقة بين الحزب والسلطة .

مبادىء القيادة الحزبية للاقتصاد الوطني :

توضحت اسس ومبادىء قيادة الحزب للاقتصاد الوطني في سياق عقدين ونيف من الزمن ، من حكم الحزب . وهذه المبادىء قد تكرست على نحو موضوعي عبر النشاط الدؤوب والنضال المستمر لحزبنا كقوة قائدة وموجهة للمجتمع العربي الاشتراكي الموحد . كما تبلورت مبادىء القيادة من خلال تفهم الحزب لآلية القوانين الاقتصادية الموضوعية . ويمكن حصر هذه المبادىء بالتالي :

- مبدأ وحدة السياسة والاقتصاد .
- مبدأ المركزية الديمقراطية .
- مبدأ وحدة القيادة الجماعية .
- مبدأ المنهجية في التخطيط .
- مبدأ اعداد الكوادر وتوزيعها على الملاكات الادارية .
- مبدأ حفز الانتاج والتشجيع .

وفيما يلي سنستعرض كل مبدأ على حدة لتبيان دوره في قيادة الاقتصاد الوطني .

اولا ـ مبدأ وحدة السياسة والاقتصاد :

يمارس الاقتصاد دورا مؤثرا في العلاقات الايديولوجية والسياسية والفلسفية والقانونية ، اي في مجمل البناء الفوقي للمجتمع الذي يتحدد واقعه وآفاق تطوره في نهاية المطاف بالشروط الاقتصادية .

(١) تقارير المؤتمر القطري الثامن المنعقد في دمشق بين ٥-١-٨٥-٢٠-١-١٩٨٥ التقرير السياسي ص ١٢٦ .

فالاقتصاد والسياسة كل منهما يؤثر ويتأثر في الآخر . فالوحدة العضوية بين السياسة والاقتصاد ، تمثل أحد اهم مبادىء القيادة الحزبية للاقتصاد الوطني . فالسياسة المرتكزة على مفاهيم اقتصادية علمية ، هي التي تؤدي دورها القيادي ، ومن دون فهم سياسي صحيح لمرامي العمل ومضامينه ، لا يمكن حشد طاقات وامكانات الجماهير في تنفيذ المهام الانتاجية .

لقد برهنت تجربة التحويل الاشتراكي في قطرنا ، بأن حل المهام الاقتصادية يتوقف الى حد كبير على النشاط الايديولوجي والسياسي للحزب وسط الجماهير ونتيجة للتطابق بين مصالح الحزب ومصالح الجماهير ، اكتسب مجتمعنا مناعة وقدرة على مواجهة الصعاب الاقتصادية التي تفرزها عوامل داخلية وعوامل خارجية تتعلق بالحصر الاقتصادي والتمييز التجاري الذي تمارسه الامبريالية ضد قطرنا ، من أجل الانسياق في مخططات كامب ديفيد الرامية الى ابتلاع الارض وفرض الاستسلام على العرب .

ان النظام الاقتصادي الذي يمثل المرتكز الاساسي للمجتمع هو الذي يحدد السياسة بوصفها جزءا من البنية الفوقية ، التي اما ان تعطي دفعة الى الاقتصاد او أن تعيق تطوره . ولهذا اضحى الاقتصاد السياسة الرئيسية لحزبنا ، الذي يحرص على ايجاد تناسب صحيح بين السياسة والاقتصاد للارتقاء بقيادة الدولة والمجتمع .

ووحدة السياسة والاقتصاد تفترض بالضرورة ارتباط الادارة بالنشاط السياسي للحزب بين الجماهير ، اذ تتوقف النجاحات الاقتصادية على العمل السياسي الدؤوب والمنظم في أوساط العاملين . من هذا المنطلق فان القائد الاداري الذي يرشح بقرار حزبي ، لا تنحصر مهمته في اطار وظيفي بحت وانما تتخطاه لتشمل الجانب السياسي ، لان هناك صلة عضوية بين نشاطه الاقتصادي وضرورات انجاز مهام التحويل الاشتراكي .

فالقيادة الحزبية للاقتصاد الوطني تكمن في عمل مؤسسات الحزب ومنظماته الجماهيرية ، على تحسين مستوى التنظيم والاداء الاداري في المنشآت الاقتصادية، بعيدا من الهيمنة وفرض الوصاية عليها . ويمثل النهج السياسي في حل المعضلات الاقتصادية مفتاح الحزب في قيادة مسار التنمية ، اي أن حل المشاكل الانتاجية والتقنية المعقدة ، رهن بسياسة الحزب وتوجيهاته . وهذا ما اكدت عليه تعاليم البعث « ان هذه الطليعة هي أداة الجماهير في احداث تحول في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بعد الاستيلاء على السلطة السياسية . كما انها اداة الجماهير وقائدة نضالها في مرحلة الكفاح من أجل التحرر الوطني والقومي من

السيطرة الأجنبية ، ومن اجل اسقاط سلطة القوى الرجعية والمستغلة واقامة سلطة الجماهير الكادحة » (١) .

يبدو بعد المدخل السياسي أداة ناجعة في قيادة أي جانب من جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية . فالحلول النظرية والعملية للمشاكل الاقتصادية والتكنولوجية ، تتوقف على العمل الجماعي للحزب القائد حامل لواء التطور .

ثانيا — مبدأ المركزية الديمقراطية :

تتجسد في المركزية الديمقراطية المبادىء العلمية لادارة الاقتصاد الوطني التي تستبعد الدمج الكمي للمركزية والديمقراطية بصورة آلية . علما ان كلا منهما يشترط الآخر ويكمله . والمركزية الديمقراطية تنطوي على ناحيتين ، الاولى : الادارة المخططة مركزيا ، والثانية : الادارة الديمقراطية لوسائل الانتاج ، وكلاهما يمثلان أبرز القوانين الموضوعية في ادارة الاقتصاد الوطني .

فالمركزية في ادارة الاقتصاد الوطني تعني قيادة الهيئات العليا للهيئات الدنيا ، والاخيرة ملزمة بتنفيذ توجيهات الاجهزة المركزية . فالدولة التي تمثل سلطة الحزب تركز في يدها القيم الاساسية في الاقتصاد وتؤمن تنفيذ خطط الاقتصاد الوطني ، الجارية والطويلة المدى . كما تقوم بتوزيع الموارد المادية والمالية والقوى العاملة بين مختلف ميادين النشاط الاقتصادي . وتنهج سياسة مركزية واحدة ازاء تعميم منجزات التقدم العلمي والتقني ، وتطبق سياسة واحدة في مجال توزيع الانتاج والاجور والاسعار . وقد اكدت على هذا الجانب المنطلقات النظرية للحزب حيث جاء فيها « **ان التنظيم السياسي للسلطة الثورية الشعبية في ظروف البناء الاشتراكي ، في بلد متخلف ينبغي ان تقوم على اسس توفر الجمع بين وحدة القيادة وقوتها وبين ديمقراطيتها وشعبيتها . ولهذا فان مبدا المركزية الديمقراطية هو الاساس الملائم لقيام مثل هذه السلطة » (١) .**

والمركزية بدورها تفترض الحد الاقصى من المشاركة الجماهيرية في ادارة وسائل الانتاج وفي صياغة السياسة الاقتصادية ، وفي وضع وتنفيذ خطط الاقتصاد الوطني ، وهذا يعني انه يجب ان لاتحول المركزية الديمقراطية دون المبادرات الخلاقة حيث تتوافر في أوساط الجماهير كفاءات ومواهب ومهارات يمكن الكشف عنها بواسطة المباراة الاقتصادية . فالمركزية والديمقراطية لا تقتل الحافز الفردي بل تشجع على المبادرة والابداع .

---

(١) كراس معالم البعث ص ٢٧ .

(١) بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس ص ٦٠ .

ونظرا للمزايا التي تنطوي عليها المركزية الديمقراطية في افساح المجال امام مبادرة الجماهير في تنظيم الانتاج والارتقاء به ، ونظرا للدور الذي تلعبه في حياة الحزب الداخلية ، فقد تمسك بها حزبنا وتشدد في تطبيق مضامينها على صعيد البناء الحزبي وعلى صعيد الممارسة السياسية والاقتصادية ، وقد اكتسبت الديمقراطية الشعبية ابعادها الحقيقية في ظل الحركة التصحيحية ،.. فقد جاء في معالم البعث :

« **يقصد بالديمقراطية الشعبية النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي تكون السلطة فيه لجماهير الشعب الكادحة المبنية في منظماتها النقابية والمهنية والشعبية بقيادة حزب البعث القائد للدولة والمجتمع » (٢) .**

« **الطليعة الاشتراكية تقوم بدور الوسيط والقائد الذي يعمل على ايجاد مسيرة الجماهير نحو المستقبل الاشتراكي بشكل علمي وباسلوب ديمقراطي » (٣) .**

ان المركزية الديمقراطية على صلة لا تنفصم بالنقد والنقد الذاتي كضابط للعلاقة بينهما ، فالقيادة الحزبية للاقتصاد الوطني يستحيل استقامتها من دون توفير المناخ الملائم لممارسة النقد والنقد الذاتي والذي في حال غيابه على صعيد المنشآت الاقتصادية ، تستشري الظواهر السلبية ، اذ ينتشر الفساد وتعم الفوضى ، وقد يعمد بعض العاملين من الحزبيين في ازدراء رأي الجماهير ، كما تشيع البيروقراطية وهذه الامور وغيرها تحط من قدر القيادة الحزبية .

فالنقد والنقد الذاتي طريقة فعالة لتربية العاملين من الحزبيين بروح المسؤولية الرفيعة ، وبروح التشدد حيال النواقص . كما يعد النقد والنقد الذاتي وسيلة ناجعة لمكافحة البيروقراطية ، وشرطا لا غنى عنه في تربية الحزبيين بمثل وقيم البعث وتعاليم القائد . والنقد والنقد الذاتي معين لا ينضب لحفز العمل وزيادة الانتاج ، وهو بمثابة قانون الحياة بالنسبة للاحزاب الثورية .

ثالثا — مبدا القيادة الجماعية :

يعد حزب البعث العربي الاشتراكي القوة القائدة والموجهة للمجتمع وحاز هذه المكانة بفضل نهجه العلمي والثوري ، وسعة معرفته بقوانين التطور الاجتماعي وارتباطه بالجماهير ارتباطا وثيقا . وقد امتلك حزبنا منذ النشوء والتأسيس وحتى الآن خبرة ودراية غنية في اسلوب القيادة الجماعية التي عززت وتعمقت في ظل

---

(٢) معالم البعث ص ٨٠ .

(٣) بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس ص ٦٠ .

الحركة التصحيحية التي قادها الرفيق المناضل حافظ الاسد ، ومبدأ القيادة الجماعية ينبع من كون حزبنا طليعة ثورية وفصيلا متقدما في حركة الثورة العربية ؛ وهذا ما نلمسه في ادبيات الحزب وفي واقع الحال حيث عكست المنطلقات النظرية هذا المبدأ بوضوح « ... **الاساس الموضوعي الحاسم لتطبيق الديمقراطية هو اقتدار الطليعة على قيادة الاكثرية الجماهير الساحقة قيادة قائمة على ثقة الجماهير الحرة العميقة بهذه الطليعة** » (١) .

ان مبدأ جماعية القيادة في حزبنا يرتكز على المركزية الديمقراطية القائمة على نظام انتخاب ومحاسبة المؤسسة الحزبية ، وحرية المناقشة والنقد والانضباط الصارم ، وخضوع الاقلية للاكثرية ، وخضوع المؤسسات الدنيا للمؤسسات العليا.

وجماعية القيادة ضمانة اكيدة لانتهاج سياسة اقتصادية معللة علميا وواضحة الاطر والمعالم . كما أن القيادة الجماعية شرط لابد منه لتطوير البناء الحزبي ، وتأمين مشاركة قواعد الحزب وجماهيره في صناعة وصياغة القرارات السياسية والاقتصادية . وقد عبرت المنطلقات النظرية للحزب عن الاهمية التي تنطوي عليها القيادة الجماعية « **ان التطور الثوري لا يتحقق الا اذا كانت له قيادة ثورية واحدة تقوده على مختلف مستوياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومن دون هذه القيادة الواحدة التي يمثلها الحزب الثوري يتشتت هذا النضال ، او على الاقل لا يسير باستراتيجية واحدة ووفق خطوات تكتيكية متكاملة ، اي انه بالتالي لا يستطيع أن ينجز مهامه على النحو الثوري المطلوب** » (١) .

لقد اكتسبت القيادة الجماعية في ظلّ القيادة التاريخية للرفيق الامين العام للحزب حافظ الاسد ، أبعادا واسعة ومضامين جديدة منحت حزبنا نهوضا ثوريا، وقد ضرب الرفيق الامين العام للحزب مثالا ساطعا في تطبيق مبدأ جماعية القيادة ، رغم مكانته وقدراته القيادية الفذة التي جعلت منه قائدا لمسيرة شعبنا نحو النصر والتحرير . ونتيجة لايمانه بمزايا القيادة الجماعية فهو لايقرر بالنيابة عن مؤسسات الحزب ، بلْ يتشدد بضرورة مراعاة مبادىء الحزب ، ويتمسك بالقواعد الناظمة للحياة الحزبية .

ان وحدة القيادة لاتتحقق من تلقاء ذاتها ، فلابد من تطويرها وتنظيمها ، ووحدة القيادة لاتستبعد اتخاذ القرارات واصدار التوجيهات والتعليمات التي لها صفة الاستعجال ، من قبل المسؤول الحزبي او الحكومي ، ولكن يجب ان تكون

---

(١) بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس ص ٧٢ .

(١) المصدر السابق نفسه .

منسجمة وروح الحزب ومنطلقاته ، فهي لاتعفي القائد الحزبي من اداء واجبه بحجة دراستها في جلسات رسمية ومداولات لانهاية لها .

فالقائد الحزبي الناجح حين يتخذ قرارات من هذا القبيل ، هو الذي يستشف راي الجماعة ويستفيد من خبرة المختصين ، ويعرف متى وكيف يخلق جوا من المسؤولية ، ويستوعب العمل المكلف به استيعابا عميقا ، ويمتلك القدرة على رؤية آفاق التطور ، ويقوى على تنظيم الجماهير وحشد طاقاتها لتنفيذ توجيهات الحزب والسلطة .

وعلى الرغم من الصلة العضوية والسمات المشتركة بين احادية القيادة وجماعيتها ، فان أحادية القيادة تختلف جوهريا عن جماعية القيادة فكلاهما يتسمان بثقة القيادة السياسية ويخضعان لرقابتها . وان نشاطهما وسلوكهما تحددهما سياسة الحزب ، فهما يرتكزان على مبدأ المركزية الديمقراطية . أما احادية القيادة فتمليها ضرورات الادارة وطبيعتها التي تتطلب السرعة في البت في بعض القضايا المستعجلة ، بالاضافة الى وحدة الارادة والصرامة في توجيه نشاط العاملين في منشأة ما . ففي سياق العملية الانتاجية تبرز العديد من المسائل اليومية التي تتطلب تنفيذ الاوامر بلا تحفظ ، ولهذا لابد من خضوع المرؤوسين للاوامر الفردية التي يصدرها القادة الاداريون واذا كانت هذه الاوامر لا تخدم المصلحة العامة فيمكن مناقشتها فيما بعد في الاجتماعات الحزبية وفي اللجان النقابية ليصار الى تصويبها .

وبقدر مايستخدم القائد الاداري الصلاحيات المخول بها وبطبقها بيد قوية، تستقر وتنتظم العملية الانتاجية . وفي الوقت ذاته عليه أن يحسن التصرف في ممارسة سلطته ، التي تبقى قاصرة ان لم تقترن بجماعية القيادة ، والتي تعني مشاركة العاملين في هذه الادارة أو تلك للاستفادة من خبراتهم عملا بمبدأ « **المناقشة المشتركة والمسؤولية الفردية** » ، كما يعني مبدأ الجماعية استشارة العاملين في أعقد وأهم القضايا التي تتعلق بقضايا الانتاج ، ومن الضرورة بمكان الاصغاء الى رأيهم . ومهما يكن فان جماعية القيادة يجب أن لاتتحول الى عقبة كأداء امام سرعة وصلاحية البت بالامور ، أو ان تتخذ كذريعة لتسويف الامور وتمييعها في متاهات اللجان والاجتماعات والمداولات التي لاطائلَ منها ، حتى وان كانت القيادة الجماعية اكثر الاشكال فعالية لمشاركة الجماهير في قيادة الاقتصاد الوطني . فالمسؤول ان لم يمارس الصلاحيات المناطة به ، فانه بالتأكيد سيفشلُ في اداء المهمة التي اسندها اليه الحزب . **وقد حذر الرفيق الامين العام للحزب من مغبة عدم ممارسة المسؤولية في خطابه امام مجلس الشعب :** « ان عدم ممارسة المسؤول صلاحياته ومهامه كاملة

يعني في المحصلة تفريطا بمصالح الشعب ، ولتعين حدود هذا التفريط بحدود التخلي عن ممارسة الصلاحيات » (١) .

رابعا – مبدأ المنهجية في التخطيط :

يمثل التخطيط أحد أهم أركان القيادة الحزبية للاقتصاد الوطني . فالحزب عبر مؤتمراته الدورية هو الذي يحدد الاتجاهات الاساسية لخطة التنمية الاقتصادية، غير ان الحزب لا يأخذ على عاتقه مهمة التخطيط المباشر للاقتصاد الوطني ، فمشروع الخطة تضعه هيئة تخطيط الدولة التي تتحمل المسؤولية المباشرة في وضع مؤشرات الخطة طبقا لتوجيهات الحزب القائد .

علما بأن خطة التنمية الاقتصادية لاتنزلها مجموعة من رجال السياسة او التكنوقراط أي لا توضع من وجهة نظر فنية مكتبية فحسب ، بل تعد الخطة نتيجة لتفاعل أنشطة المؤسسات الحزبية والشعبية والاجهزة الحكومية .

والحزب يقود عبر سلطته الرسمية مجمل الفعاليات المتعلقة بوضع خطة الاقتصاد الوطني وقد أكدت المنطلقات النظرية على أهمية التخطيط ، حيث ورد فيها « أن التخطيط وحده هو القادر على تنفيذ سياسة التقشف لتحقيق مشاريع البناء الضخمة ، وهو أخيرا الذي يمكن من مركزة التوظيف في القطاعات الاكثر أهمية ، ويمد بأهداف التوظيف الى أبعد من حدود الحاضر ، ويضع المستقبل نصب عينيه على طريق تحقيق الانجازات التي تضمن التطور الحقيقي للاقتصادنا الوطني ، واستبعاد الانجازات المظهرية التي لاتساهم في تنمية الانتاج ومضاعفة المردود » (٢) .

وبهذا المعنى فان الخطة بوصفها أداة للسياسة الاقتصادية للحزب القائد ، مفصرة لتحقيق التطور الشامل لجميع أركان المجتمع ؛ فقد ورد أيضا في المنطلقات النظرية « ان التخلف الاقتصادي والثقال الذي يعانيه شعبنا يتطلب شططا خارقا قلوانا في سبيل تطوير المستوى الاقتصادي لشعبنا وتحقيق الثورة الاشتراكية . والتخطيط الاشتراكي هو الطريقة الفعالة التي تمكن من استخدام جميع الموارد الوطنية المادية والطبيعية والبشرية بطريقة علمية وعملية » (١) .

---

(١) كلمة الرفيق الامين العام للحزب الرئيس حافظ الاسد في افتتاح مجلس الشعب مساء الاثنين ١٦ / ١١ / ١٩٨١ .

(٢) بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس ص ٧٧ .

(١) المصدر السابق نفسه ص ٧٦ .

ان الموقف الحزبي من التخطيط ، يعني أيضا معالجة أي مسألة اقتصادية في اطارها السياسي . ففي سياق النشاط الاقتصادي قد تتعارض مصالح مؤسسة ما مع المصلحة العامة ، اذ قد تتمسك ادارة المؤسسة بطريقة الانتاج المعهودة لديها ، وتتردد في ادخال التقنيات الجديدة التي تساهم في زيادة الانتاج كما ونوعا . أو أن ترغب السلطات المحلية بادراج بعض المشاريع في الخطة التي يوجد مايماثلها في مناطق أخرى من القطر ، مما يلحق ضررا بالمصلحة العامة جراء الازدواجية . هنا تتدخل القيادة الحزبية لتحول دون ظهور المصالح الضيقة ، وتعالج جميع شؤون الاقتصاد الوطني في ضوء المصلحة العامة « ان الطلائع الثورية هي التي تسهر على التطبيق وتضمن له النجاح وتحقق الانسجام اللازم بين الجوانب الفنية للتطوير الاقتصادي وبين متطلباته الاساسية »(١) .

من دون شك أن القيادة الحزبية للاقتصاد الوطني لا تقتصر على رصد الاتجاهات الاساسية للخطة ، فحسب ، وانما تعني بتعبئة وتجنيد جهود العاملين على تنفيذها. فالخطط الاقتصادية التي توضع بتوجيه من قيادة الحزب تشكل بحد ذاتها وسيلة لحشد جهود أبناء المجتمع قاطبة ، وتستنهضهم للتفاني في البذل والعطاء ،ومقياس نجاح القيادة الحزبية يتجلى بالتفاف الجماهير حول حزبها ، لتعمل دونما كلل على تنفيذ سياسته الاقتصادية التي تستهدف بناء مجتمع التقدم والاشتراكية .

لقد أدرك حزبنا بحسه الثوري بانه لا يمكن انجاز مهام التحويل الاشتراكي دون تخطيط منهجي منظم لفعاليات الاقتصاد الوطني . فالادارة المخططة هي من أعظم أفضليات الاشتراكية على الرأسمالية . فالتخطيط العلمي يساهم في تطوير الاقتصاد الوطني ، ويمكن من استيعاب جميع السكان القادرين على العمل كما يؤدي الى تحسين المستوى المعاشي للجماهير الكادحة ، أضف الى كونه يؤمن توزيع الموارد المادية والمالية على نحو أمثل بين فروع الاقتصاد الوطني .

وبما أن خطط الاقتصاد الوطني هي تعبير عن السياسة الاقتصادية التي ينتهجها حزبنا ، فانه يحرص على الارتقاء بمستوى أجهزة التخطيط والادارة وزيادة فعاليتها. وبهذا الصدد أوصى المؤتمر القطري الثامن للحزب « اعادة النظر في التنظيم الهيكلي الاداري والتنظيمي لادارات الدولة ومؤسساتها وتوزيع الاختصاصات فيما بينها بشكل يحقق التناسق والتكامل ويواكب التطورات الاقتصادية والاجتماعية »(٢) .

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٧٦ .

(٢) تقارير المؤتمر القطري الثامن ومقرراته « التقرير الاقتصادي » ص ٢٣٠ .

خامسا ــ مبدأ اعداد وتأهيل الكوادر الحزبية وتوزيعها على الملاكات الادارية :

ان اعداد وتأهيل الكوادر القيادية وتوزيعها على المرافق الاقتصادية يساهم الى حد بعيد في انجاح القيادة الحزبية للاقتصاد الوطني . والتي تفترض توزيع الكوادر على الملاكات الادارية تبعا لمؤهلاتهم العلمية والفنية ، ووفقا لمهاراتهم وقدراتهم العملية والسياسية ، بعيداً من المزاجية والقرابة والصداقة ، وهذا ما حث عليه دستور الحزب « قيمة المواطنين تقدر بعد منحهم فرصا متكافئة ــ حسب العمل الذي يقومون به في سبيل تقدم الامة العربية وازدهارها دون النظر الى اي اعتبار آخر »(1) .

ومن أجل الارتقاء بمستوى ادارة وتنظيم الاقتصاد الوطني لابد من الاهتمام بصناعة الانسان عملا بالمثل الصيني القائل « اذا اردت أن تزرع لمدة عام فازرع قمحا ، واذا أردت ان تزرع لعشرة اعوام فازرع شجرا ، وان اردت ان تزرع لمئة عام فازرع الانسان » ، فمهما افرزت الثورة العلمية ــ التكنولوجية من آلات مؤتمتة يبقى الانسان بمهاراته وخبراته ، هو الاساس في العملية الانتاجية . فالناس هم القوة المنتجة الاولى للخيرات المادية ، على مر التاريخ البشري .

لقد أولى حزبنا مسألة الكوادر الفنية والقيادية اهمية خاصة ، ولهذا الغرض انتهج سياسة تربوية وتعليمية واعلامية تكرس قيم العمل والاستمتاع به ، واحدثت لهذا الغرض المزيد من المدارس والجامعات ومؤسسات البحث العلمي ، بالاضافة الى المدارس العقائدية التي تعنى باعداد كوادر الحزب ايديولوجيا وسياسيا ، من اجل تحقيق صلة الحزب بجماهيره ، وتوضيح سياسة الحزب ومواقفه ومناهجه .

ونظرا للاهمية التي يعلقها الحزب على كوادره في تعميم تجربته النضالية وترجمة مهامه الاقتصادية ، فقد اوصى المؤتمر القطري الثامن للحزب بـ « الاستمرار باعداد الاطر القيادية ، وتطوير حياة الحزب والارتفاع بسوية الوعي التنظيمي والعقائدي لدى الرفاق على اساس عقيدة الحزب القومية والاشتراكية »(2) كما اوصى بوضع الضوابط التي تعتمد على الكفاءات والوظائف بما يحقق تطبيق شعار الانسان المناسب في المكان المناسب .

لقد انهت الحركة التصحيحية التي قادها الرفيق المناضل حافظ الاسد العزلة بين الحزب وجماهيره ، ووفرت جميع الفرص لمشاركة أوسع الجماهير في تحمل

(1) دستور حزب البعث العربي الاشتراكي ص ٦ .
(2) التقارير ومقررات المؤتمر القطري الثامن ص ٢٢١ .

مسؤولياتها وأعبائها النضالية ، وقد أسقطت بذلك الشعار الذي رفعه البعض المناور « نريد مخلصا ولانريد مختصا » ، ايمانا من قائد المسيرة بأن الاخلاص رغم اهميته لايكفي وحده لانجاز مهام التحويل الاشتراكي كون الاشتراكية لا تبنى بالمعنويات والاماني الطيبة . بل لابد من رفد الاخلاص بالاختصاص . وقد استبعد حزبنا في ممارسته اليومية أن يقف خلف كل عامل رقيب حزبي . **وهكذا في ظل الحركة التصحيحية تعززت ثقة الجماهير بحزبها وقائدها وبادلته حبا بحب وثقة بثقة .** وبذلك استفاد حزبنا من مبادرة الجماهير الخلاقة في دعم مسيرة التقدم والاشتراكية . وبالطبع علقت المنطلقات النظرية للحزب أهمية خاصة على مبادرة الجماهير حيث تضمنت « أن التحويل الاشتراكي لاي مجتمع سواء تم بوساطة التأميم أو عند تحويل الريف تحويلا اشتراكيا ، ينبغي أن يتلازم مع فتح الطريق لمبادرة الجماهير »(1) .

سادسا ــ مبدأ حفز وتشجيع الانتاج :

يتطلب التطوير السريع للانتاج ، تطبيق الحوافز المادية والمعنوية التي هي عبارة عن أداة لجذب العاملين وتشجيعهم من خلال الربط بين حيازتهم وسائل العيش بمقدار مايقدمونه للمجتمع . فالحزب ممثلا بسلطته الرسمية يستخدم سياسة الاجور والاسعار والمكافآت ، لتشجيع العاملين على زيادة الانتاج كما ونوعا . وبتوسيط الحوافز المادية يجري التوفيق بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية ، سيما وان للعامل مصلحة في نتائج عمله ، سواء من حيث كونه عضوا ناقصا في المجتمع ، أم من حيث كونه عاملا مستقلا بصفته الشخصية . ففي ظل النظام الاشتراكي فقط تنشأ وحدة حقيقية بين المصلحة الجماعية والمصلحة الفردية للعامل ، كونه المالك الحقيقي لوسائل الانتاج .

وللحوافز المعنوية والهدايا التشجيعية دور مهم في رفع كفاءة الانتاج . والحوافز المادية والمعنوية لاتقتصر على النظام الاشتراكي وانما موجودة ايضا في البلدان الراسمالية ، غير ان مفعولها واثرها محدودان بسبب اغتراب العمل ، لان العامل في النظام الراسمالي منفصل عن وسائل الانتاج بسبب الملكية الخاصة ، كما ان اهتمامه بنتائج العمل محدود ، لان ثمار الانتاج يستولي عليها الراسمالي بحكم ملكه الخاص لوسائل الانتاج .

ان مسألة تطوير الانتاج وزيادته كما ونوعا تستولي على اهتمام القيادة السياسية التي تعكف على اجراء المزيد من الاصلاحات الادارية والاقتصادية والمالية بهذا الخصوص . وتشدد قيادة الحزب على تطبيق مبدأ المحاسبة وتعزيز الانضباط

(1) بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس للحزب ص ٨٤

الانتاجي والاداري والحكومي . وترسي الطاعة والانضباط الصارم . والانضباط الصارم لايعني قطعا الانضباط القائم على القسر والاكراه والخوف ،وعلى استخدام الطرق الادارية القاسية التي تحرم الجماهير من الثقة والمبادرة ، وتثير الهلع وعدم الاستقامة ، بل يقصد بها الانضباط القائم على الوعي وتحسس المسؤولية .

ان قيادة الحزب للاقتصاد الوطني لاتتحقق بالقوة والتهديد واصدار الاوامر من الاعلى ، وانما تفترض الروح الحزبية والاخلاق الثورية . كما تتطلب تعبئةالراي العام وحشد جهود العاملين حول الاهداف الاقتصادية التي ينشدها حزبنا ، لأن تطوير مسيرة البناء الاقتصادي تحتاج الى عمل سياسي منظم بين الجماهير ، لان افضل واسلم القرارات الحزبية لا تجلب النجاح ان افتقرت الى الجانب التنظيمي الذي يضعها موضع التنفيذ . فالعمل التنظيمي الكفء هو الذي يمكن من ترجمة قرارات وتوصيات مؤتمرات الحزب على أرض الواقع . فالاهداف التي ينشدها حزبنا كبيرة وكبيرة جدا . وبالتفاف الجماهير والتفافها حول حزبها وقائد مسيرتها يمكن انجازهــــا .

لقد توضحت عبر مسيرة حزبنا أساليـب متقدمـة وصيـغ متطورة يجري استخدامها من اجل حفز الانتاج وتشجيعه وتتمثل بـ :

١ ــ طريقة التربيــة والآليـات والاقنــاع .

٢ ــ **طريقـة الدعايــة والتحريض وتعبئة الراي العام .**

٣ ــ **طريقـة النصـح والارشــاد .**

٤ ــ **طريقة اصدار الاوامر والتوجيهات وهي طريقـة اداريـة .**

٥ ــ **الطرق الاقتصاديـة والسياسيـة والتنظيميـة .**

٦ ــ **طريقة الاكراه واستخدام قـوة القانون .**

وتطبيق أي من هذه الطرق يتوقف على طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة . وحزبنا بوصفه تنظيما سياسيا طبيعيا ، فانه يعتمد على مكانتـه السياسيـة وثقـة الجماهير بقيادته التاريخية ، ولهذا يجنح الى استخدام التاثير الفكري والسياسي والاخلاقي . اما الطرق القسرية والقانونية والاقتصادية لاتنسجـم مـع طبيعتـه السياسيـة وعلاقته بالجماهير ، ومثل هذه الطرق يمكن ان تعتمدها اجهزة الدولة في حـال الضـرورة .

سابعا ــ مبدا الرقابة الحزبية والشعبية والرسمية :

تعتمد القيادة الحزبية للاقتصاد الوطني على مبدا الرقابة والتحقق من التنفيذ

كوسيلة لتكريس الحس بالمسؤولية . وقد توضحت لدى حزبنا صيغ متقدمـة من اساليب الرقابة الحزبية التي تمارس من خلال مؤسسات الحزب المتسلسلة كل في مجال عملها ، وصولا الى المكاتب المختصة في القيادة القطرية التي تضطلع بمهام تتبع ومراقبة نشاط الادارة الاقتصادي ، والتي تتحقق من سلامة الاداء وحسن تنفيـذ خطـة الاقتصـاد الوطني .

لقد ادرك حزبنا دور واهمية الرقابة والمحاسبة في الحيـاة العمليـة ، وعلى الصعد الحزبية والاجتماعية والاقتصادية ، فكان من انجازاته الهامة في مؤتمـره القطري السـابع ، احداث هيئة قطرية مرتبطة مباشرة بالرفيق الامين العام للحزب سميت بـ « لجنة الرقابة والتفتيش الحزبية » التي انيطت بها المهام التالية (١) :

١ ــ خدمة الاطر الحزبية قواعد وقيادات ، وضمان أن الاداء يتم وينفذ وفق القرارات والخطط الموضوعــة .

٢ ــ التحقق من مدى انجاز الاهداف المتبناة في الوقت المناسب ،وبالشروط والاسس الناظمة لها ، والكشف عن المعوقات أيا كانت وتذليلها .

٣ ــ كشف الاخطاء والانحرافات ان وجدت وتحديد المسؤوليات .

٤ ــ اقتراح الحلول الملائمة لمعالجة الثغرات والاخطاء وايقاف تراكمها حرصا على سلامة الانجاز ، وحماية للاطر من الانزلاق في الخطأ والاستمرار فيه .

في ضوء هذه المهام وانطلاقا من المقولة التاريخية للقائد الرمز حافظ الاسد « لا سكوت عن الخطأ ايا كان وعلى جميع المستويات » اكتسبت الرقابة الحزبية بعدا نضاليا في محاسبة سائر المقصرين عن عمد ، بحيث تطال المحاسبة جميع انـواع الاساءات المالية والخلقية والسياسية ، وكانـا من كان مما يسمح في قمع الميول الانتهازية ويرسخ ثقة الجماهير بالحزب والقائد .

وهكذا فان الرقابة الحزبية سيما الوقائية منها ، تعلي من شان الانضباط الحزبي ، وترقى بحس المسؤولية ، وتكرس هيبة وسلطان القانون . كما تحصن الرفاق من الوقوع في الخطأ سواء عن قصد أو غير قصد .

اما الرقابة الشعبية فهي بمثابة مدرسة لتوجيه نشاطات الدولة في مصلحة المجتمع باسره ، ومن خلال وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئيـة ، يتحقـق المواطنون من جميع شؤون الدولة السياسية منها والاقتصادية والثقافية . كما يجري مشاركة الجماهير عبر تنظيماتهم الشعبية ونقاباتهم المهنية في ممارسة الرقابة

---

(١) التقارير ومقررات المؤتمر القطري الثامن ص ٢١٠ .

على أجهزة الدولة وبذلك لتجلى الديموقراطية الشعبية بأروع صورها ، وقد حذر الرفيق الأمين العام في كلمته التاريخية أمام مجلس الشعب ، من التهاون والتقصير في تحمل المسؤولية « ... ومن الخطأ والخطر الا نرى بشكل واضح مدى السلبية التي تنجم عن أي تهاون أو تقصير في ممارسة المجلس دوره كاملا ، وهو المؤسسة التي اختارها الشعب كأعلى سلطة تشريعية ... أنها أمانة مقدسة أن يقوم كل منا بالدور الذي أوكله اليه الشعب ، وفي الاطار الدستوري الذي حددته جماهيره »(١)

وبالفعل كان مجلس الشعب أمينا على توجيهات القائد فعملت لجانه المتخصصة بدأب على كشف مواطن الخلل والتقصير التي تعتري مسيرة البناء الاشتراكي وتوجت أعمالها بحجب الثقة عن وزير الانشاء والتعمير ، وقام المجلس أيضا بمحاسبة وزير الزراعة والاصلاح الزراعي الذي قدم هو الآخر استقالته لفشله في تنفيذ السياسة الزراعية التي أقرها حزبنا .

وبالاضافة الى الرقابة الحزبية والشعبية هناك أجهزة رسمية تضطلع بمهام الرقابة الحكومية ، التي تتحقق من تقيد العاملين في الدولة من مراعاة الأنظمة والقوانين النافذة في الدولة ، كالهيئة المركزية للرقابة والتفتيش ، ويعتبر مرسوم احداثها بمثابة مرحلة جديدة على طريق تنظيم الرقابة الصارمة على عمل ونشاط المؤسسات الرسمية ، والتحقق من مدى تنفيذ خططها ، وأوجه التصرف بالموارد المادية والمالية والموارد البشرية ، الأمر الذي يوطد من سلطة الدولة . كذلك يقوم الجهاز المركزي للرقابة المالية بأداء مهام من هذا القبيل بالاضافة الى أجهزة الرقابة الداخلية التي أحدثت في السنوات الأخيرة في سائر ادارات الدولة .

ان يد الرقابة الحزبية والشعبية والحكومية لا تنحصر في القطاع العام وانما تتعداه لتشمل نشاط القطاع الخاص الذي لا يسمح له بالعمل الا بالفروع الثانوية في الاقتصاد ، ليبقى القطاع العام هو القائد والرائد في قطرنا ، فالنمط الرأسمالي الخاص يتمتع بالحق في الحياة ، الا يلعب دور الرديف والمساعد قياسا بقطاع الدولة ، ويعزى وجود القطاع الخاص في قطرنا الى قلة الموارد الاقتصادية والمالية ، فليس بمقدور الدولة أن تأخذ على عاتقها فورا كل عبء التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

فالحزب وسلطته الرسمية يمارسان تأثيرهما ودورهما الرقابي على القطاع الخاص عن طريق ضبط علاقات التوزيع والتبادل والاستهلاك وذلك من خلال ما يلي :

(١) كلمة الرفيق الأمين العام للحزب الرئيس حافظ الأسد في افتتاح مجلس الشعب مساء الاثنين ١٩٨١/١١/١٦ .

- سياسة الضرائب والرقابة الصارمة على تطبيقها .
- سياسة الأسعار ، والمكافحة الحازمة للسمسرة والمضاربة .
- سياسة تقديم البراءات لاقتناء التجهيزات التقنية والمواد بالأسعار الثابتة .
- التقيد الصارم باحتكار التجارة الخارجية وجانب لا بأس به من تجارة الجملة والتجزئة .
- حظر اخراج العملات الأجنبية الى الخارج .
- استخدام عقود التلزيم لتنفيذ بعض مشاريع الدولة .
- اقامة شركات مشتركة بين القطاعين العام والخاص .

كذلك تمارس الأجهزة الرسمية للحزب دورها الرقابي على نشاط الشركات الأجنبية ، التي هي في واقع الحال ليست جمعيات خيرية فهي تطمح لتحقيق الأرباح الاحتكارية ، ويجري ضبط نشاطها من خلال ما يلي :

- المراعاة الصارمة للتشريعات الوطنية .
- دفع الضرائب والرسوم للدولة .
- اعادة توظيف قسم من الأرباح في الاقتصاد الوطني .
- استثمار الموارد الطبيعية بشكل عقلاني وبما ينسجم وأهداف التنمية الاقتصادية .
- المساهمة في اعداد وتأهيل الكوادر الفنية .

فالرقابة على نشاطات الشركات الأجنبية ، لا تنحصر في أجهزة الدولة الرسمية فحسب ، بل ان المنظمات الشعبية والنقابية تعد أدوات فعالة في مراقبة فعاليات الرأسمال الأجنبي .

وهكذا من سياق ما ورد يتضح لنا بأن القيادة الحزبية هي من حيث الجوهر قيادة سياسية ، وهي تجسيد للتأثير المتبادل بين الحزب وجماهيره . وتعد قيادة الحزب علما وفنا راقيا يتحققان في الممارسة السياسية والتنظيمية ، وتكمن قوتها في قدرتها على الربط بين الاستراتيجية وبين اجراءات وتدابير تطبيقها ، وبالتأكيد هذه المهمة لا تتحقق بأسلوب وظيفي بحت ، بل من خلال المهام الايديولوجية والسياسية والتنظيمية والتربوية التي يبذلها حزبنا في أوساط الجماهير العربية التواقة الى بناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد .

تقـــاريـر

قـراءة نضاليـة قـوميـة لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دوراته المتعاقبة..

الرفيق : طه الحاج جابر

« اننا نقرأ الواقع قراءة المناضلين
لا قراءة المستسلمين »

الرفيق المناضل
حافظ الاسد

● المجلس الوطني الفلسطيني ومهامه :

المجلس الوطني هو الهيئة التمثيلية والسلطة التشريعية للشعب العربي الفلسطيني بنضاله وفعالياته المعبرة عن مختلف مصالحه وتطلعاته وحقوقه وامانيه الوطنية والقومية .

ولقد حدد النظام الاساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية في المادة رقم ٧ مهام ودور المجلس على النحو التالي :

ـ المجلس الوطني هو السلطة العليا لمنظمة التحرير ، وهو الذي يضع سياسة المنظمة ومخططاتها وبرامجها .

وعليه فانه يمكن ايجاز مهام المجلس الوطني بالنقاط التالية :

- ـ ابراز الكيان الفلسطيني وتجسيد الشخصية الفلسطينية .
- ـ تدعيم النضال الفلسطيني باعتبار ان المجلس هو السلطة العليا للشعب العربي الفلسطيني .
- ـ رسم الخطط للعمل الفلسطيني في جميع المجالات السياسية والعسكرية بما يخدم هدف تحرير فلسطين بالكامل .
- ـ تطوير وتعديل الميثاق الوطني الفلسطيني .
- ـ مراقبة السلطة التنفيذية والممثلة بـ « اللجنة التنفيذية » ومحاسبتها على اعمالها واقرار استمرارها او تبديلها او تعديلها .

اذن فالمجلس الوطني هو الهيئة التي تجسد الوحدة الوطنية الفلسطينية وتضم كل القوى والتنظيمات والكفاءات الفلسطينية في اطار واحد .

كما نص النظام الاساسي في مادته رقم « ٥ » على انتخاب اعضاء المجلس على طريق الاقتراع المباشر من قبل الشعب العربي الفلسطيني ، الا انه بسبب ظروف الاحتلال والتوزع البعيد فانه لم يك ممكنا اجراء انتخابات عامة لذا استمر هذا المجلس قائما مع تغيرات كل فترة وفقا للتطورات العامة وبما يخدم مصالح وتطلعات الشعب العربي الفلسطيني وكفاحه الدؤوب ضد الاستعمار والصهيونية .

● المؤتمرات الفلسطينية قبل النكبة :

قبل الخوض في تفاصيل المؤتمر الفلسطيني الاول الذي عقد في القدس سنة ١٩٦٤ والذي شكل القاعدة الاساسية للمجلس الوطني الفلسطيني ، لابد من ربط النضال الوطني والقومي للشعب العربي الفلسطيني ماضيه بحاضره ، واستعراض مؤتمراته التي سنفصلها لاحقا بعد ان نستعرض المناخ السياسي الذي كان سائدا في كل من سورية وفلسطين .

ففي العشرينات من هذا القرن كانت فلسطين تحت سلطة الانتداب البريطاني، وسورية تحت سلطة الانتداب الفرنسي ،والحال نفسه لمعظم الاقطار العربيةالمجاورة فكان طبيعيا أن ينطلق النضال ضد المستعمرين في كل من فلسطين وسورية بتواصلٍ نضالي عربي مشترك بحكم العلاقات الوطنية والقومية الوطيدة والمتأصلة تاريخيا وجغرافيا وبشريا بين القطرين ، وجاء في اطار التحرك المشترك هذا انعقاد « **المؤتمر السوري العام** » سنة ١٩١٩ في دمشق والذي كان تجسيدا كاملا للوحدة السورية ــ الفلسطينية حيث حضره مندوبو جميع المناطق الفلسطينية ، وكان المناضل والمؤرخ

العربي الفلسطيني « محمد عزت دروزة » هو السكرتير العام لهذا المؤتمر الذي جـ
في بنود بيانه الختامي :

ـ اننا نرفض مطالب الصهيونية بجعل القسم الجنوبي من البلاد السوريـ
فلسطين ـ وطنا قوميا للاسرائيليين ونرفض هجرتهم الى اي قسم من
بلادنـــا .

ـ اننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سورية والمعروف بفلسطين ،
والمنطقة الساحلية التي من جملتها لبنان عن القطر السوري ونطلب ان تكون
وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة باي حال كان .

كما يأتي في هذا السياق عقد مؤتمرات سورية ـ فلسطينية بوحدة ال...
« **المؤتمر السوري ـ الفلسطيني الاول** » الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٢١ و « المؤتمر **السوري ـ الفلسطيني الثاني** » الذي انعقد في جنيف سنة ١٩٢٢ بسبب ملاحقة سلطات الانتداب البريطاني والفرنسي للمؤتمرين حيث كان من ابرز المشاركين الفلسطينيين في هذا المؤتمر كل من توفيق حماد وامين التميمي وشبلي الجمل والذي جاء في قراراته رفض نظام الانتداب والتمسك بوحدة سورية واستقلالها وقرر كذلك انشاء سكرتارية دائمة باسم الوفد السوري ـ الفلسطيني في جنيف واوكلت اليه مواصلة الدفاع عن القضية السورية والفلسطينية في المحافل الدولية .

وفي هذا المناخ السياسي البالغ التعقيد تم عقد سلسلة من المؤتمرات الفلسطينية **قبل النكبة** نستعرضها فيما يلي :

المؤتمر الفلسطيني الاول :

عقد في مدينة القدس اوائل عام ١٩١٩ وتمثلت فيه جميع الفعاليات الجماهيرية الفلسطينية وقرر وضع أول « ميثاق قومي » لفلسطين يتضمن رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية والانتداب البريطاني والمطالبة بوحدة فلسطين مع سورية والاستقلال التام ضمن الوحدة العربية ، وتسمية فلسطين باسم «السورية الجنوبية» حيث جاء في جملة قراراته ما يلي :

ـ اننا نعتبر فلسطين جزءا من سورية العربية ، اذ لم يحدث قط ان انفصلت عنها في اي وقت من الاوقات ، ونحن مرتبطون بها بروابط قومية ودينية ولغوية وطبيعية واقتصادية وجغرافية .

ـ اننا نعرب عن رغبتنا ان لا تنفصل سورية الجنوبية « فلسطين » عن حكومة سورية العربية المستقلة ، وان تكون متحررة من جميع انواع النفوذ والحماية الاجنبيـــة .

ـ المؤتمر الفلسطيني الثاني :

عقد في دمشق بتاريخ ٢٧ـ٢ـ١٩٢٠ بعد أن كان مقررا عقده في نابلس لكن السلطات البريطانية منعت انعقاده بحجة المحافظة على الامن . ومن مقرراته اعلان ان « سورية الجنوبية ـ فلسطين ـ جزء من سورية » وكذلك رفض الهجرة الصهيونية لفلسطين .

٣ ـ المؤتمر الفلسطيني الثالث :

عقد في حيفا من ١٣ ـ ١٩ كانون الاول سنة ١٩٢٠ بعد ثورة القدس الاولى باشهر معدودة ، وعقب مؤتمر سان ريمو وانهيار الحكم العربي في سورية بعد معركة ميسلون ، ولهذا اخذ المؤتمر بعين الاعتبار الوقائع الجديدة لتكييف النضال القومي حسبها ، فاتخذ قواعد لبدء التنظيم الوطني الفلسطيني المستند على اسس قومية فاكد على رفض وعد بلفور وطالب بمنع الهجرة اليهودية وانشاء حكومة قومية في فلسطين ، وانتخب المؤتمر لجنة تنفيذية برئاسة « موسى كاظم الحسيني » كانت بمثابة قيادة الحركة الوطنية في تلك الحقبة .

٤ ـ المؤتمر الفلسطيني الرابع :

عقد في القدس من ٢٩ـ٥ الى ٢ـ٦ـ١٩٢١ . ومن اهم قراراته ارسال الوفد العربي الفلسطيني الاول الى لندن لشرح القضية الفلسطينية في الاوساط السياسية البريطانية ، حيث جوبه الوفد بتعنت بريطاني واصرار على تنفيذ وعد بلفور .

٥ ـ المؤتمر الفلسطيني الخامس :

عقد في نابلس من ٢٠ الى ٢٥ـ٨ـ١٩٢٢ باجماع وطني شامل ، وتبنى المؤتمر ـ ١٨ ـ قرارا اهمها :

ـ رفض الدستور الفلسطيني المقترح من سلطات الانتداب البريطاني .

ـ مقاطعة الانتخابات القادمة وكذلك المشاريع اليهودية ومشروع روتنبرغ اليهودي لكهربة البلاد .

ـ وضع ضريبة على جميع العرب في فلسطين للقيام بالدفاع عن القضية .

كما تبنى هذا المؤتمر ـ الذي يعد اهم مؤتمر فلسطيني قبل النكبة ـ أول ميثاق وطني فلسطيني جاء في مقدمته :

« نحن ممثلو الشعب العربي الفلسطيني في المؤتمر العربي الفلسطيني نتعهد امام الله والتاريخ والشعب على أن نستمر في جهودنا الرامية الى استقلال بلادنا

وتحقيق الوحدة العربية بجميع الوسائل المشروعة ، وسوف لا نقبل باقامة وطن قومي يهودي او هجرة يهودية .. » .

٦ ـ المؤتمر الفلسطيني السادس :

عقد في يافا من ١٦ ـ ٢٠ حزيران ١٩٢٣ برئاسة موسى كاظم الحسيني مع ازدياد دور الشباب فيه ، وناقش اهمية سياسة الامتناع عن دفع الضرائب للحكومة كمقدمة للعصيان المدني حيث لم يقرها المؤتمر رغم استعداد مختلف الفئات الشعبية لتنفيذهـــا .

ومن أهم قراراته :

ـ البدء بتنفيذ مقاطعة مشروع روتنبرغ والبضائع اليهودية .

ـ رفض المعاهدة الانجلو ـ عربية التي كان الشريف حسين على وشك ابرامهـــا .

٧ ـ المؤتمر الفلسطيني السابع :

عقد في القدس من ٢٠ ـ ٢١ حزيران ١٩٢٨ ويعتبر من اضعف المؤتمرات وآخرها الذي يعقد قبل النكبة .

لم يخرج بقرارات حاسمة بل بجملة احتجاجات على بعض تصرفات سلطات الانتداب ولم تشكيل لجنة تنفيذية جديدة موسعه تضم ٤٨ عضواً ، ولقد حولت الانقسامات والخصومات الشخصية هذه اللجنة التنفيذية الى هيئة عاجزة كل العجز ، قابلها الشعب العربي الفلسطيني باذكاء نار الثورة الشعبية التي اندلع لهيبها في القدس سنة ١٩٢٩ والمعروفة بـ « ثورة البراق » وتبعتها انتفاضة سنة ١٩٣٣ ثم ثورة القسام سنة ١٩٣٥ وصولاً الى الثورة الفلسطينية الكبرى التي امتدت من عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٣٩ .

● المجلس الوطني الفلسطيني :

لايمكن ـ كما رأينا ـ تناول النضال الوطني الفلسطيني بمعزل عن ابعاده القومية التي كان لحزبنا العظيم ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ـ قصب السبق في التعاطي الكفاحي مع القضية الفلسطينية الى درجة الارتباط المصيري بها والى اعتبار « ان القضية الفلسطينية ليست قضية عربية بل انها القضية العربية » .

وسنتناول اهم مقررات دورات المجلس الوطني في دوراته المتعاقبة بدءاً من الدورة الاولى وانتهاء بالدورة السادسة عشرة له ، مع تتبع وتلمس البصمات

النضالية القومية لمقررات حزبنا القومية والقطرية في دعم ومواكبة النضال الفلسطيني عبر قراءة نضالية قومية مترافقة بمواقف البعث العظيم المبدئية والاستراتيجية في خدمة الهدف النهائي هدف تحرير فلسطين .

فقبل الخوض في تفاصيل دورات المجلس لابد من عرض سياسة الحزب من خلال مقررات مؤتمراته والتي تناول السعي الدؤوب لاقامة كيان فلسطيني يجمع ويؤطر النضال الفلسطيني في بوتقة واحدة ، فقد جاء في مقررات المؤتمر القومي الرابع ضرورة « تأليف جبهة شعبية تضم سائر التنظيمات الشعبية الفلسطينية القائمة في الاقطار العربية ، على ان تكون هذه الجبهة مستقلة في تنظيمها وعملها ونضالهـــا » .

كما جاء في مقررات المؤتمر القومي السادس بند ينص على « انشاء جبهة لتحرير فلسطين » وعلى هذه الارضية الوطنية القومية جاء تحرك الحزب عبر وفد القطر العربي السوري لمؤتمر القمة العربي الاول الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٦٤ بدعوة من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، حيث تمكن الوفد من تفويت فرص محاولات بعض الانظمة العربية لتصفية القضية الفلسطينية ، وتمكن أيضا من وضع هذه القضية في مسارها الثوري الصحيح عبر ورقة العمل السورية المقدمة للمؤتمر والمتضمنة نقاطا هامة من اجل وضع وتنفيذ استراتيجية عربية ذات صيغة هجومية لتحرير فلسطين .

ومهد هذا الجو لتحرك فلسطيني ادى لقيام منظمة التحرير الفلسطينية من خلال انعقاد مؤتمر فلسطيني عام نعرض فيمايلي تسلسل انعقاده :

١ ـ المؤتمر الفلسطيني الاول :

وهو اول مؤتمر فلسطيني يعقد بعد النكبة في مدينة القدس بفلسطين من ٢٨ / ٥ ـ ٢ / ٦ / ١٩٦٤ ، وجاء انعقاده بعد قرار مؤتمر القمة الاول بانشاء كيان فلسطيني يعبر عن ارادة شعب فلسطين ، وكلف المؤتمر ممثل فلسطين في جامعة الدول العربية السيد احمد الشقيري بالاتصال بأبناء فلسطين وفعالياتها الذي شكل لجانا تحضيرية على رأسها لجنة تنسيق القوائم المرشحين لحضور المؤتمر حيث روعي قدر الامكان التوزع الجغرافي لابناء فلسطين وصفاتهم التمثيلية »

حضر المؤتمر ٣٩٧ عضوا وتفرع عنه ٩ لجان انتهت من اعداد تقاريرها وتجمل فيمايلي اهم قرارات هذا المؤتمر التاريخي :

ـ اعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية .

ـ المصادقة على الميثاق القومي لمنظمة التحرير الفلسطينية .

- المصادقة على النظام الاساسي واللائحة الداخلية للمجلس الوطني والصندوق القومي .

- انتخاب السيد احمد الشقيري رئيسا للجنة التنفيذية .

- المباشرة فورا بفتح معسكرات التدريب لجميع القادرين من الشعب الفلسطيني .

- الحاق الشباب الفلسطيني وزيادة اعداده في الكليات العسكرية العربية والصديقة .

- اعتبار المؤتمر بكامل اعضائه « المجلس الوطني الاول » .

٢ ـ الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني :

عقدت في القاهرة من ٣١ / ٥ ـ ٤ / ٦ لعام ١٩٦٥ بجلسة افتتاحية حضرها الرئيس جمال عبد الناصر وقد ناقش المجلس انجازات المنظمة من عام كامل واهمها :

- انشاء جيش التحرير الفلسطيني وتشكيل قواته « حطين ـ القادسية ـ عين جالوت » .

- انشاء الصندوق القومي ودوائر المنظمة .

وفي نهاية جلساته اتخذ عدداً من القرارات السياسية حول علاقات المنظمة في المجالين العربي والدولي وخاصة ادانة تصريحات الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة في بيروت الداعية للعودة لقرارات تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ والقبول بها كحل للقضية الفلسطينية .

كما اتخذ قرارات عسكرية تتعلق بمضاعفة الجهود لتحقيق المزيد من الانجازات العسكرية والعمل على فرض التجنيد الاجباري على جميع الفلسطينيين اينما كانوا .

- وقرر المجلس ان المنظمة تحدد سياستها الخارجية وعلاقاتها بالدول تبعا لموقفها من قضية فلسطين ، وهذا القرار نجد له بنودا مشابهة تماما في مقررات الحزب القومية والقطرية مما سنعرضه لاحقا بالتفصيل .

٣ ـ الدورة الثالثة للمجلس الوطني الفلسطيني :

عقدت في غزة بفلسطين من ٢٠ / ٥ ـ ٢٤ / ٥ / ١٩٦٦ بحضور ٦٦) عضوا ، وتم مناقشة عدد كبير من الامور المتعلقة بحرية العمل الفلسطيني ووحدة العمل الثوري والعلاقات العربية والدولية وفق خطوط اكثر ثورية في علاقات منظمة التحرير ونهجها السياسي والتنظيمي .

ومن أهم مقررات هذه الدورة :

- تأكيد ضرورة توحيد جميع المنظمات الثورية الفدائية الفلسطينية وانصهارها في اطار منظمة التحرير انصهارا تاما .

- تطوير جيش التحرير الفلسطيني مع تعديل المادة ٢٢ من النظام الاساسي القاضية بتشكيل وحدات فلسطينية خاصة وفق الحاجات العسكرية لتصبح :

« تنشيء منظمة التحرير الفلسطينية جيشا من ابناء فلسطين يعرف بجيش التحرير الفلسطيني وتكون له قيادة مستقلة وواجبه القومي ان يكون الطليعة في خوض معركة تحرير فلسطين » .

٤ ـ الدورة الرابعة للمجلس الوطني الفلسطيني :

عقدت في القاهرة من ١٠ ـ ١٧ / ٧ / ١٩٦٨ في ظل ظروف احتلال مابقى من فلسطين اثر قيام العدو الصهيوني بعدوانه الغادر على الامة العربية في حزيران ١٩٦٧ ، حيث تصاعدت اثر ذلك حركة المقاومة ضد الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وظهرت فصائل وتنظيمات جديدة للمقاومة .

وقد تم تقليص عدد اعضاء المجلس الى ١٠٠ بدلا من ٤٠٠ ، كما تم لاول مرة انخراط جميع منظمات المقاومة في المجلس الجديد الذي كان معظم اعضائه يمثلون القوى الملتزمة بالكفاح المسلح كطريق وحيد لتحرير فلسطين ، وهكذا كانت الدورة الرابعة منعطفا هاما تمثل في مقرراتها التالية :

- ضرورة المحافظة على الشخصية لاستمرار الكفاح المسلح لتحرير فلسطين .

- تعديل اسم الميثاق ليصبح « الميثاق الوطني الفلسطيني » بدلا من الميثاق القومي كما عدل المجلس كثيرا من مواد الميثاق والغى بعضها واضاف اخرى لمواكبة ازدياد اهمية الكفاح المسلح .

- شجب الكيان الفلسطيني المزيف الذي يتنافى كليا مع حق الشعب العربي الفلسطيني في تحرير كامل ترابه الوطني ، ويصفي القضية الفلسطينية لمصلحة العدو ، ويؤدي لخلق ادارة عميلة في الاراضي المحتلة للتصدي للثورة الفلسطينية، كما اعلن ان « **اي فرد او جهة عربية فلسطينية او عربية غير فلسطينية تدعو لهذا الكيان العميل عدو للشعب العربي الفلسطيني وللامة العربية** » .

وكان حزبنا قد بادر لاعتماد خيار الصمود في وجه الهجمة الامبريالية الصهيونية وكانت قرارات المؤتمر القومي التاسع الاستثنائي المنعقد في اوائل ايلول سنة ١٩٦٧ تعبيرا حقيقيا لنضال جماهير امتنا اذ جاء في هذه القررات :

– اعتماد الكفاح المسلح كأساس في ازالة آثار العدوان مع استمرار النضال السياسي بشكل يخدم الكفاح المسلح .

واكد حزبنا مقرراته تلك ، في المؤتمر القومي العاشر عام ١٩٦٨ حيث جاء فيه :

– اعتماد الكفاح المسلح كأسلوب وحيد لتحرير الارض المحتلة مع تأكيد الدعم للعمل الفدائي الفلسطيني لتطويره وتعزيزه مع تأكيد بؤر الكفاح الثوري .

٥ – الدورة الخامسة :

عقدت في القاهرة من ١ – ٤ شباط ١٩٦٩ بحضور ٩١ عضواً من اصل اعضائه الـ ١٠٥ وقد اتخذ المجلس عدداً من القرارات اهمها :

– دعم صمود الشعب العربي الفلسطيني في الارض المحتلة .

– التصدي بحزم لكل المحاولات المشبوهة التي تستهدف انشاء كيان فلسطيني زائف .

– التصدي بحزم لكل الحلول الاستسلامية ورفض سائر الاتفاقات والقرارات والمشاريع التي تتعارض مع حقوق الشعب العربي الفلسطيني الثابتة بما في ذلك قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

– الاتصال بمن تغيب عن حضور المجلس لتعزيز الوحدة الوطنية .

– تنفيذ القرارات التي اتخذها المجلس الوطني بشأن جيش التحرير الفلسطيني مع تأكيد اهمية دعمه وزيادة حجمه وتطويره .

– تنفيذ القرارات الصادرة عن المجلس الوطني بشأن توحيد القوى المقاتلة الفلسطينية .

٦ – الدورة السادسة :

عقدت في القاهرة من ١ – ٦ ايلول ١٩٦٩ ومن اهم قراراتها :

– تشكيل قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني .

– تطوير اللقاءات الجبهوية بين منظمات حركة المقاومة لانجاز تحقيق هدف المجلس في الوحدة الوطنية .

– زيادة الدعم المادي والمعنوي للجماهير الفلسطينية الصامدة في الارض المحتلة انطلاقاً من استراتيجية الثورة الفلسطينية في اعتماد الحرب الطويلة الامد .

– تطوير اجهزة المنظمة وخاصة اجهزة الهلال الاحمر الفلسطيني .

٧ – الدورة السابعة :

أ – الدورة العادية :

عقدت في القاهرة من ٣٠ / ٥ – ٤ / ٦ / ١٩٧٠ حضرها ١١٥ عضواً في ظل ارتفاع وتيرة العمل الفدائي كما وكيفاً داخل الارض المحتلة وعقب اتفاقية القاهرة الموقعة بين المقاومة والسلطة اللبنانية مع ازدياد هجمات العدو الجوية على قواعد المقاومة في سورية والاردن ، في وقت تميز ببروز سلبيات واضحة على مجريات الثورة الفلسطينية بسبب تعدد فصائل المقاومة وخاصة على الساحتين الاردنية واللبنانية .

وبسبب ضخامة الاحداث المرتقبة بعد طرح مشاريع تصفوية مثل مشروع « روجرز » ولضبط حركة المقاومة ومقاتليها تم تشكيل « اللجنة المركزية » لمنظمة التحرير من :

رئيس المجلس الوطني الفلسطيني – أعضاء اللجنة التنفيذية – القائد العام لجيش التحرير الفلسطيني – ٣ من المستقلين .

ب – الدورة الاستثنائية السابعة :

عقدت في عمان من ٢٧ – ٢٨ آب ١٩٧٠ اثر تسارع الامور وبعد بروز حدثين هامين هما :

– طرح مشروع روجرز الجديد لحل مشكلة الشرق الاوسط وقبول مصر به حيث اعتبر هذا المشروع محاولة لتصفية قضية فلسطين وضرب المقاومة الفلسطينية وانهائها .

– ازدياد حدة التوتر بين السلطات الاردنية والمقاومة الفلسطينية .

ومن اهم مقررات هذه الدورة :

– الرفض القاطع والمقاومة الحازمة للمؤامرة الامريكية المسماة خطة روجرز .

– تأكيد وحدة القيادة لجميع فصائل المقاومة لاحباط المشاريع والخطط التصفوية .

– منع اي تحرك يهدف للتفاوض مع العدو في نطاق المشاريع والخطط التصفوية .

٨ – الدورة الثامنة :

عقدت في القاهرة من ٢٨ / ٢ – ٥ / ٣ / ١٩٧١ بعد خمسة اشهر من حوادث ايلول ١٩٧٠ بالاردن ووفاة الرئيس جمال عبد الناصر لهذا كانت مقررات الدورة

ذات طابع تنظيمي لترتيب البيت الفلسطيني ، وقد اعتمد المجلس « برنامج العمل السياسي والتنظيمي للوحدة الوطنية لقوى الثورة الفلسطينية » القائم على ركيزتين :

أ ـ البرنامج السياسي :

ـ اعتبار منظمة التحرير الممثل الوحيد لجماهير الشعب العربي الفلسطيني شرط التزامها التام بمبادىء الميثاق الوطني الفلسطيني ، وعدم استبعاد اي فرد او فريق من عضوية المنظمة الا في الحالات التي تمس امن الثورة او تشكل خروجا على مبادىء الميثاق الوطني .

ـ اعتماد الكفاح المسلح شكلا رئيسيا لتحرير فلسطين ، واعتبار أن الحل الوحيد للقضية الفلسطينية هو تحرير كامل التراب الفلسطيني واقامة « الدولة الديمقراطية الفلسطينية » ضمن اطار مطامح الامة العربية في التحرر القومي والوحدة الشاملة .

ب ـ البرنامج التنظيمي :

القائم على أن تتكون منظمة التحرير من الهيكل التنظيمي التالي :

ـ المجلس الوطني ـ اللجنة المركزية ـ اللجنة التنفيذية ـ الدوائر والمؤسسات ـ القيادة العسكرية ـ الصندوق القومي .

والجدير بالذكر أن القيادة القطرية المؤقتة التي تشكلت اثر الحركة التصحيحية المباركة التي قادها الرفيق المناضل حافظ الاسد كانت قد ادرجت في بيانها يوم ١٦ / ١١ / ١٩٧٠ بنودا في مجال عملها العربي تدعو « للتحرك الواسع لحشد الطاقات العربية للمعركة المصيرية بما يعزز استراتيجية الكفاح المسلح ودعم الثورة الفلسطينية والعمل على توحيد سائر فصائل المقاومة » .

٩ ـ الدورة التاسعة :

عقدت في القاهرة من ٧ ـ ١٢ تموز ١٩٧١ بعد أن قام رئيس المجلس الوطني واللجنة التنفيذية وقائد جيش التحرير باختيار اعضاء المجلس الذي جاء تكوينه ممثلا لجميع الفصائل المقاتلة والاتحادات المهنية والنقابات والمستقلين وممثل جيش التحرير بستة اعضاء

ومن اهم قرارات هذه الدورة :

ـ تنظيم الجماهير الفلسطينية في لبنان للدفاع عن نفسها ضد الاعتداءات

الصهيونية ، وانهاء كل المظاهر والتصرفات التي قد تسيء الى سمعة العمل الفدائي وعلاقته بالجماهير اللبنانية .

ـ التمسك الكامل بالحقوق الكاملة للشعب العربي الفلسطيني في تحرير ارضه على طريق الكفاح الشعبي المسلح .

ـ تجديد الرفض الحاسم لجميع الحلول الاستسلامية والمشاريع التي تعرض للحقوق التاريخية والطبيعية للشعب الفلسطيني بما فيها القرار ٢٤٢ ومشاريع روجرز المتعاقبة .

ـ اعطاء الاولوية لمتطلبات الثورة في الارض المحتلة نضالية كانت أو اجتماعية .

وكان الحزب القائد حزب البعث العربي الاشتراكي مواكبا بدعمه المادي والمعنوي لنص وروح هذه القرارات الثورية التي ترجمت عمليا على ضوء مقررات المؤتمر القطري الخامس المنعقد في ايار ١٩٧١ والتي قضت بـ :

ـ تطوير العلاقات مع الدول على ضوء موقفها من قضايانا القومية وعلى راسها قضية فلسطين .

حشد الطاقات والجهود العربية لاجل معركة التحرير ، ودعم الثورة الفلسطينية ورفض كل المشاريع الاستسلامية .

كما ان مقررات المؤتمر القومي الحادي عشر المنعقد في آب ١٩٧١ جاءت لتؤكد هذه التوجهات الثورية عبر مقرراتها التي نصت على :

ـ ان الموقف من قضية فلسطين هو المعيار الوطني لاي نظام أو حركة سياسية عربية .

ـ تحقيق وحدة منظمات المقاومة تحت شعار « جبهة المقاتلين » .

١٠ ـ الدورة العاشرة :

وهي دورة استثنائية عقدت في القاهرة من ٦ ـ ١٢ نيسان ١٩٧٢ اي قبل اربعة اشهر من موعدها المقرر ورافقها انعقاد « مؤتمر شعبي فلسطيني » لمعالجة موضوعين طارئين :

ـ الانتخابات البلدية في مدن وقرى فلسطين تحت ضغط العدو المحتل .

ـ المشاريع المطروحة لحل القضية الفلسطينية وخاصة مشروع « المملكة العربية المتحدة » .

وقد صدرت القرارات التالية من المؤتمر الشعبي وصادق عليها المجلس الوطني وهي :

– اقامة الوحدة الوطنية فورا بين فصائل المقاومة على اساس البرنامج السياسي والتنظيمي الذي أقره المجلس الوطني في دورتيه الثامنة والتاسعة .

– مواصلة تعبئة وتنظيم كل طاقات الشعب الفلسطيني داخل الوطن وخارجه في حرب شعبية طويلة المدى من أجل التحرير الشامل واقامة المجتمع والدولة الديمقراطيين .

هذا وقد استبدل المجلس – واثناء انعقاد جلساته – ببعض اعضائه اعضاء آخرين بناء على طلب الجهات التي يمثلونها ، واضيف عدد آخر من الاعضاء الى المؤتمر .

١١ – الدورة الحادية عشرة :

عقدت في القاهرة من ٦ – ١٢ كانون الثاني ١٩٧٣ بحضور ١٨٠ عضوا ومن اهم مقررات هذه الدورة :

– تشكيل « المجلس المركزي » وهو هيئة وسيطة مابين اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني ومن مهامه « اتخاذ القرارات في القضايا التي تطرحها عليه اللجنة التنفيذية في اطار مقررات المجلس الوطني » .

– تشكيل الجبهة الوطنية في الداخل وتنسيق العمل العسكري والنضالي الجماهيري ، وتطويق العناصر والمؤسسات المتعاونة مع الاحتلال ، والقابلة بمشاريع الاستسلام .

– النضال ضد عقلية التسوية وماتفرزه من مشروعات تستهدف قضية شعبنا في تحرير وطنه .

– اعتبار كل متعاون مع العدو او متهاون بحقوق الشعب العربي الفلسطيني الطبيعية والتاريخية في ترابه الوطني هدفا بشخصه وممتلكاته من اهداف الثورة.

– تشكيل المؤسسات القيادية لمنظمة التحرير من الفصائل والمنظمات والشخصيات الوطنية التي تؤمن بالكفاح المسلح طريقا رئيسيا واساسيا لتحرير فلسطين ، والتي تلتزم بالميثاق الوطني الفلسطيني .

١٢ – الدورة الثانية عشرة :

وهي دورة هامة جدا ، عقدت في القاهرة من ١ – ٨ حزيران ١٩٧٤ عقب حدث

تاريخي بارز في مسيرة الامة العربية والشعب الفلسطيني هو « **حرب تشرين التحريرية** » .

وبعد جلسة الافتتاح ناقش المجلس مسالة العضوية فتم استبدال عدد من الاعضاء واضافة عدد آخر ليصبح عدد اعضائه ١٨٧ عضوا ، وقد اتخذ جملة من القرارات العسكرية والسياسية :

– تأكيد ضرورة قيام الوحدة العسكرية بين **جميع فصائل الثورة الفلسطينية.**

– تأكيد ضرورة استمرار التعاون العسكري بين **قوات الثورة الفلسطينية** والشقيقة سورية .

– حث قيادة الثورة على تصعيد العمل العسكري في الارض المحتلة بجميع السبل والوسائل .

والجدير بالذكر ان المجلس اقر « **البرنامج السياسي والتنظيمي** » والمعروف بـ « **النقاط العشر** » الذي سيصبح اساسا للبرامج السياسية المقبلة واهم هذه النقاط هي :

١ – الاستمرار في رفض القرار ٢٤٢ لانه يطمس الحقوق الوطنية والقومية للشعب الفلسطيني ويتعامل مع القضية الفلسطينية على انها مشكلة لاجئين .

٢ – النضال بكل الوسائل وعلى راسها الكفاح المسلح لتحرير الارض واقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة على كل جزء من الارض الفلسطينية التي يتم تحريرها .

٣ – النضال ضد اي مشروع كيان سياسي فلسطيني ثمنه الاعتراف والصلح والحدود الامنه والتنازل عن الحق الوطني وحرمان شعبنا من حق العودة وتقرير المصير فوق ترابه الوطني .

٤ – ان اي خطوة تحريرية تتم هي حلقة لمتابعة تحقيق اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية واستكمال تحرير كامل التراب الفلسطيني .

٥ – الموافقة على اشتراك منظمة التحرير كممثل وحيد بفتح المجال العالمي لطرح قضية فلسطين على ان يتم ذلك في اطار دولي لبحث القضية الفلسطينية على قاعدة ميثاق الامم المتحدة الذي يؤكد « حق كل شعب بالمساواة وتقرير المصير » .

هذا وقد اثار البرنامج السياسي الجدل بين صفوف بعض التنظيمات التي اعتبرته دون الحد اللازم لسياسة منظمة التحرير .

ومن هنا جاء في توصيات المؤتمر القطري الفلسطيني الثالث المنعقد في الربيع الثاني من عام ١٩٧٥ دعوة للاطراف المترددة الى الالتزام بالبرنامج السياسي الذي اقره المجلس الوطني .

كما يشار بكل الفخر والاعتزاز الى مقررات مؤتمرات الحزب القطرية والقومية في اطار العمل النضالي القومي من اجل القضية الفلسطينية ونخص بالذكر مقررات المؤتمر القطري السادس المنعقد في نيسان ١٩٧٥ والذي يعتبر بحق « مؤتمرا لفلسطين » حيث حدد الهدف المرحلي لحزب البعث العربي الاشتراكي بنقطتين اساسيتين هما « التحرير الكامل لجميع الاراضي العربية المحتلة والالتزام باستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني » .

وأوصى بحشد جميع القوى باتجاه العدو الصهيوني واحباط محاولات تصفية القضية الفلسطينية من خلال الحلول والتسويات المنفردة .

كما نادى بـ « ابراز الشخصية الفلسطينية وتنمية الشعور الوطني لدى الفلسطينيين في اطار الانتماء القومي » .

وكان من اثر هذا المناخ الوطني والقومي تأكيد تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني من خلال الجهد القومي المبارك للرفيق المناضل حافظ الاسد في مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط .

وقد لم لمس الاثار الوطنية لهذا التحرك في العمليات البطولية النوعية التي نفذتها المقاومة الفلسطينية في عمق العدو عبر عمليات « سافوي ـ نهاريا ـ الخالصة معالوت ترشيحا ـ ام العقارب » وغيرها من العمليات التي زلزلت الكيان الصهيوني من اساسه .

١٣ ـ الدورة الثالثة عشرة :

عقدت في القاهرة من ١٢ ـ ٢٢ آذار ١٩٧٧ متأخرة عن موعدها المقرر بسبب الاحداث الناجمة عن تطورات الازمة اللبنانية ، وقد حضرها ٢٩٣ عضوا بتمثيل اوسع التجمعات والقوى والمخيمات الفلسطينية التي لم تكن ممثلة سابقا وقدجاءت هذه الدورة الـ ؟

ـ اكتساب منظمة التحرير الفلسطينية صفة الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في مؤتمري القمة في الجزائر والرباط .

ـ اعتبار منظمة التحرير عضوا كامل العضوية في جامعة الدول العربية وحركة عدم الانحياز .

ـ اعتبار المنظمة عضوا مراقبا في هيئة الامم المتحدة مترافقا باعتراف معظم دول العالم بها .

ـ ظهور انقسام طرأ على الساحة الفلسطينية بالتقاء بعض المنظمات فيما عرف بـ « جبهة الرفض » نتيجة الاختلاف حول تفسير برنامج النقاط العشر الذي تم اقراره في الدورة الثانية عشرة .

واستمع المجلس لتقارير اللجنة التنفيذية حول : ـ

ـ التسوية السياسية ـ العلاقات الفلسطينية والعربية ـ العلاقات مع دول المعسكر الاشتراكي ـ الازمة اللبنانية .

واتخذ بعدها قراراته التي اتسمت بالتفاصيل والدقائق منعا للتأويلات واهم هذه القرارات : ـ

ـ تشكيل جديد للمجلس المركزي وتوضيح شامل لمهامه .

ـ اقرار الاعلان السياسي وهو توضيح شامل للبرنامج السياسي والتنظيمي وقد تضمن الاعلان ١٥ نقطة خلاصتها : ـ

١ ـ اعتبار قضية فلسطين جوهر الصراع العربي ـ الصهيوني ورفض جميع القرارات التي تتجاهل الشعب الفلسطيني وحقوقه الثابتة في وطنه .

٢ ـ مواصلة الكفاح المسلح والنضال السياسي والجماهيري لتأمين الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني .

٣ ـ رفض جميع اشكال التسويات الاستسلامية الامريكية وسائر المشاريع التصفوية .

٤ ـ تعزيز النضال والتضامن العربي على قاعدة النضال ضد الامبريالية والصهيونية .

١٤ ـ الدورة الرابعة عشرة :

عقدت في دمشق من ١٥ ـ ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٩ نظرا لكونها قلعة الصمود العربي والمتمسكة بالحق الفلسطيني والداعمة الاساسية لنضال الشعب العربي الفلسطيني وخاصة بعد زيارة الخائن السادات للقدس وتوقيعه اتفاقيتي كمب دافيد وتخليه النهائي عن قضية فلسطين وخروجه على ارادة الامة العربية .

وقد افتتحت الدورة بكلمة جامعة للرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب جاء فيهـــا :

« ان السلام في المنطقة مرتبط ارتباطا وثيقا بحقوق شعب فلسطين ، وبـدون ذلك يظل الحديث عن السلام لغواً لا معنى له ، وتظل حالة الحرب والتفجير قائمة .

ان الوحدة الوطنية الفلسطينية ذات خصوصية قومية عربية ، وعلى هذا فان الوحدة الوطنية الفلسطينية يجب أن تحقق تمتين وتعميق الارتباط القومي ،والعمق القومي لشعب فلسطين هو مصدر قوته وفعالية ثورته .

باسم شعبنا في سورية ، اخاطب اخوتنا في الارض المحتلة مؤكدا لهم اننـا على العهد مقيمون ، وفي نضالنا مستمرون ، لا تراجع ولا تهاون حتى تعود الـى شـعب فلسطين حقوقه كاملة » .

ونظرا لمواقف الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين القومية من قضـية فلسطين وتقديرا لدعمه لنضال شعبها تم تسمية هذه الدورة باسمه التي كان مـن أبـرز قراراتهـا :

ـ رفض التسوية الامريكية للصراع العربي ـ الصهيونية والمتجسدة باتفاقيات كامب ديفيد .

ـ تصعيد الكفاح المسلح وجميع أشكال النضال السياسي والجماهيري داخل الارض المحتلـة .

ـ العمل على تعزيز وتدعيم « جبهة الصمود والتصدي » على أساس مقاومـة مخططات التسوية الامبريالية ـ الصهيونية .

ـ تمسك المنظمة بوحدة لبنان وعروبته واستقلاله ، واحترامهـا للســيادة اللبنانية .

ـ تحديد مواقف المنظمة وعلاقاتها باي نظام عربي على ضوء مواقف هذا النظام من الالتزام بمقررات قمتي الجزائر والرباط ورفضه لاتفاقيتي كامب ديفيدوملحقاتها ونتائجها ومقاومتها .

ـ دعوة جميع القوى الوطنية والقومية لدعم ومساندة الشعب العربي المصري وحركته الوطنية لتمكينها من التصدي لنهج كامب ديفيد وانعكاساته على الشعب المصري وتاريخه النضالي ضد الصهيونية والامبريالية .

١٥ ـ الدورة الخامسة عشرة :

عقدت في دمشق بين ١١ ـ ١٩ نيسان ١٩٨١ وحضرها ٣١٥ عضـــوا ، وقـد افتتحت هذه الدورة بكلمة قومية تاريخية للرفيق المناضل حافظ الاسـد الامـين العام للحزب جاء فيهـا :

« انني باسم شعبنا وباسم حزبنا ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، اعرب عن اعتزازنا بانعقاد مجلسكم في دمشق ، على ارض سورية الثورة ، ثورة الثامن من آذار وثورة الشعب العربي الفلسطيني ، وبأني انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني مرة اخرى في دمشق تأكيدا جديدا لروابط الاخوة ، واخوة السلاح التي تجمع بين ابناء سورية وابناء فلسطين ، وتأكيدا جديدا لوحدة المعركة ووحدة المصير .

لاشقائنا ابناء الشعب العربي الفلسطيني في الداخل والخارج اكرر القول :

لن يهنأ لنا عيش ، ولن يهدأ لنا بال ما دام المسجد الاقصى وكنيسة القيامة في قبضة الظالمين ، وما دامت قدسنا الحبيبة تئن من جور الغاصبين ، وما دامت فلسطيننا الغالية تعاني من بطش الغزاة المحتلين ، وما دام شعبناالعربي الفلسطيني في كثرته مشردا محروما من حقوقه الوطنية الثابتة التي اقرتها له شرائع السموات والارض .

لن تكون سورية مع اي صلح ، الا مع الصلح الفلسطيني ، لن تكون مع اي سلام الا السلام الفلسطيني ، ولا نريد الجولان الا بقدر ما نريد فلسطين .

اننا نريد فلسطين قبل الجولان ، نريد اولا فلسطين وثانيا الجولان .

انه لا سلام الا السلام الحقيقي العادل الذي يعيد الينـــا الارض والعـزة والكرامـــة » .

وقد تأخر انعقاد هذه الدورة ستة عشر شهرا عن موعدها المقرر لسببين :

ـ الانعكاسات السياسية السلبية على مجمل النضال العربي الفلسطيني بسبب توقيع الخائن السادات لمعاهدة الصلح مع العدو على قاعدة كامب ديفيد .

ـ الاختلاف الذي نشب بين فصائل المقاومة على نسبة تمثيل كل فصيل في اللجنة التنفيذية القادمة .

وبعد ان تأكدت رئاسة المجلس من اكتمال النصاب القانوني ، وبعد الموافقة على جدول الاعمال وافق المجلس على استبدال بعض الاعضاء بناء على طلب بعض المنظمات والاتحادات الشعبية . كما اقر المجلس اضافة اعضاء جدد اليه .

ونجمل فيما يلي اهم قرارات هذه الدورة :

ـ تجديد المجلس تبني البرنامج السياسي والتنظيمي المقر في الدورة السابقة.

ـ تعبئة وحشد جميع طاقات جماهيرنا في الوطن المحتل لتصعيد الكفاح المسلح.

ـ دعم بناء الجبهة الوطنية الفلسطينية داخل الوطن المحتل .

ـ انجاز الوحدة الوطنية وكذلك انجاز الوحدة العسكرية بين فصائل الثورة والقوى الفلسطينية كافة .

ـ تطوير وتصعيد العمل العسكري داخل الارض المحتلة وتامين المستلزمات الضرورية لذلك .

ـ تاكيد اهمية الدور القومي الذي تقوم به القوات العربية السورية ضمن اطار قوات الردع العربية في لبنان للمحافظة على امنه وعروبته وسلامة اراضيه ووحدته واحباط المشاريع التقسيمية .

هذا وقد جاءت مقررات المؤتمر القطري السابع المنعقد في اوائل عام ١٩٨٠ معبرة عن جوهر العمل الوطني القومي حيث جاء فيها في مجال القضية الفلسطينية:

ـ وجوب التصدي لمحاولات تصفية قضية فلسطين بتحويلها من قضية شعب وارض الى ادارة ذاتية للسكان يعقبها تصفية نهائية للارض والسكان .

ـ ابراز الشخصية الوطنية الفلسطينية ، وتعزيز البعد القومي لهذه الشخصية كونها جزءا من الشخصية القومية للأمة العربية .

كما اكدت قرارات المؤتمر القومي الثالث عشر المنعقد في أواخر تموز ١٩٨٠ علاقات التحالف بين الثورة الفلسطينية وبين الثورة في القطر العربي السوري والتحديد موقف الحزب من اي نظام في ضوء مواقفه من القضية الفلسطينية .

١٦ ـ الدورة السادسة عشرة :

عقدت في الجزائر من ١٤ ـ ٢٢ شباط ١٩٨٣ وهي آخر دورة شرعية للمجلس الوطني تحظى بالاجماع الفلسطيني ـ ولو في الحدود الدنيا ـ ، واطلق عليها تسمية « دورة صمود بيروت ـ دورة الشهيد سعد صايل » .

وتم انعقاد هذه الدورة اثر ظروف عربية وفلسطينية وعالمية معقدة اهمها :

ـ الغزو الصهيوني للبنان سنة ١٩٨٢ وحصار بيروت الذي استهدف الثورة الفلسطينية وسورية الثورة والقوى الوطنية اللبنانية .

ـ تنفيذ الغدر الصهيوني وصلاته للمجازر بحق الشعبين الفلسطيني واللبناني

في مخيمات صبرا وشاتيلا وكذلك مخيمات صور وعين الحلوة وقرى الجنوب اللبناني.

ـ تواجد القوات الاطلسية الامريكية والاوروبية على اراضي القطر اللبناني .

ـ خروج قوات الثورة الفلسطينية من لبنان وتوزيعها بشكل مشتت على اقطار عربية بعيدة عن ساحة الصراع الرئيسي مع العدو .

وبعد ان تاكدت رئاسة المجلس الوطني من اكتمال النصاب القانوني ، تم استبدال بعض الاعضاء واضافة عدد آخر بحيث بلغ عدد اعضاء هذه الدورة ٣٨٤ عضـوا .

وعند الانتهاء من تلاوة التقريرين السياسي والمالي شكل المجلس ٨ لجان فرعية متخصصة بشتى المجالات وقد برزت في المؤتمر ثلاثة اتجاهات هي :

أ ـ اتجاه يعتبر ان الكفاح المسلح وتصعيده عسكريا ورفض التعامل مع اية صيغة تسوية مطروحة هو الحل الامثل للمرحلة الحالية .

ب ـ اتجاه يعتبر ان الخيار المطروح هو التعامل مع ما يسمى بايجابيات مشاريع التسوية والخروج بتصور هجين يجمع بين نقاط مشروع ريغان ومشروع السلام العربي ومشروع مبادرة بريجنيف .

جـ ـ اتجاه وسط يحمل افكارا توفيقية بين الاتجاهين .

وتم البحث باستفاضة في كل من الامور التالية :

مشروع فاس ـ مشروع ريغان ـ الكونفدرالية مع الاردن ـ الاتصالات مع نظام حسني مبارك ـ الاتصالات مع الاسرائيليين .

ونعرض فيما يلي أهم مقررات هذه الدورة المثيرة للجدل وبشيء من التفصيل كونها المفترق الاساسي بين الحدود الدنيا للعمل الوطني والانزلاق المريع الذي انهوى اليه اليمين الفلسطيني المنحرف والذي تمخض عنه نتائج سلبية على مجمل العمل الفلسطيني ، والمقررات هي :

١ ـ على الصعيد الفلسطيني :

ـ اعتبار معركة الصمود والبطولة في بيروت ولبنان تجسيدا للوحدة الوطنية الفلسطينية باروع صورها مع ضرورة تعزيز وتاكيد هذه الوحدة بين فصائل الثورة على اساس البرنامج التنظيمي والسياسي الذي اقرته الدورة الرابعة عشرة للمجلس الوطني .

ـ يؤكد المجلس ضرورة تطوير وتصعيد الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني .

ـ ادانة وشجب جميع المحاولات الصهيونية والامريكية الرامية الى ضرب

الاجماع الوطني الفلسطيني ويدعو جماهير شعبنا الى مقاومتها والتصدي لها ، وتقديم مستلزمات الصمود لهذه الجماهير .

٢ ـ على الصعيد العربي :

ـ اعتبار قرارات قمة فاس الحد الادنى للتحرك السياسي للدول العربية الذي يجب ان يتكامل مع العمل العسكري بكل مستلزماته لتعديل ميزان القوى لصالح النضال والحقوق العربية الفلسطينية .

ـ تعميق التحالفات مع الشعب اللبناني وقواه الوطنية والمساهمة مع الجماهير اللبنانية لمحاربة الاحتلال الصهيوني وانهائه .

ـ تاكيد اهمية الاستراتيجية بين الثورة الفلسطينية وسورية لخدمة الاهداف النضالية والقومية باعتبارهما خط المواجهة الاماي ضد الخطر المشترك .

ـ تاكيد رفض اتفاقيات كامب ديفيد والوقوف الى جانب نضال شعب مصر وقواه الوطنية لانهاء سياسة الكامب مع دعوة اللجنة التنفيذية لتحديد العلاقة مع النظام المصري على اساس تخليه عن سياسة كامب ديفيد .

٣ ـ على الصعيد الدولي :

ـ تاييد مشروع بريجنيف الصادر في ١٩٨٢/٩/١٦ والذي يؤكد الحقوق الثابتة للشعب العربي الفلسطيني ، كما يعبر المجلس عن تقديره لمواقف منظومة الدول الاشتراكية .

ـ رفض اعتبار مشروع ريغان أساسا صالحا للحل العادل والدائم لقضية فلسطين والصراع العربي ـ الصهيوني .

وعليه فاننا لن نتوقف كثيرا عند لا شرعية أو قانونية النصاب العددي لمجلس عمان ليس لان نتائجه السياسية هي التي اكدت تزويره لارادة الشعب العربي الفلسطيني من حيث المضمون ، أما من ناحية الشكل فيكفي القول ان غياب ١٦٨ عضوا من اعضاء المجلس الوطني يفقده الشرط الضروري ليس لانعقاده فحسب بل لتامين النصاب الشرعي ايضا وهو حضور ثلثي اعضاء الدورة السادسة عشرة البالغ عددهم ٣٨٤ عضوا توفي ٦ منهم ، بمعنى ان غياب ١٢٩ عضوا فقط يفقده النصاب القانوني اللازم للانعقاد .

وكما راينا في الدورات السابقة فانه بعد اكتمال النصاب القانوني كان يتم استبدال او تعيين واضافة اعضاء جدد في المجلس مما يعني ان مجلس عمان وما افرزه

من نتائج سياسية وتنظيمية باطل ومزور ومخالف لارادة الشعب العربي الفلسطيني ووحدته الوطنية وميثاقه الوطني ونظامه الاساسي شكلا ومضمونا .

وبالمقاييس نفسها كان اجتماع الجزائر من البنية السياسية والتنظيمية نفسها لمجلس عمان في خدمة نهج اليمين الفلسطيني واهدافه رغم تمكنه من احتواء بعض المنظمات تحت جناحه مقدما لهم الاغراءات والاوهام بان المؤتمر الدولي لحل ازمة « الشرق الاوسط » بات في متناول اليد .

ومن المفيد التذكير بان النهج اليميني أغلق الابواب امام المبادرة العربية السورية التي أعلنت ان سورية تفتح قلبها وذراعيها لكل من يلتزم بوثيقة طرابلس كحد ادنى لا يقبل وطنيا وقوميا بتجاوزه .

لذا كان منطقيا ان ترفض القوى الوطنية الفلسطينية والشارع الفلسطيني العريض هذا التوجه السياسي الناتج من اجتماع الجزائر لان خياراته لا تزال مفتوحة ـ بشكل خفي احيانا وبشكل واضح احيانا اخرى ـ على نهج التسوية وكامب ديفيد والاتصالات مع الصهاينة .

ولا نجد ما يوجز الامور على الساحتين الفلسطينية والعربية خيرا من الموقف الوطني والقومي الذي عبر عنه الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب حيث أكد في الخامس من شهر أيار لعام ١٩٨٧ « تأييد سورية لاستمرار العمل من أجل تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية على اساس معاد للامبريالية والصهيونية وبعيدا عن روح المساومة والاستسلام » .

انشطة ووثائق

القيادة القومية

زيارة الرفيق الامين العام للحزب لجمهورية بلغاريا

● قام الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب على راس وفد حزبي وحكومي بزيارة رسمية وودية الى جمهورية بلغاريا الشعبية في الفترة مابين ٢٠ / ١٠ و ٢٢ / ١٠ / ١٩٨٧ وذلك تلبية لدعوة من الرئيس البلغاري تيودور جيفكوف الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري .

وتشير الحفاوة الرسمية والشعبية التي احيط بها الرفيق الامين العام للحزب منذ وصوله الى بلغاريا وحتى مغادرته ، وكما تدل مجريات الزيارة والكلمات المتبادلة بين الرفيقين حافظ الاسد وجيفكوف والاهتمام الاعلامي بمختلف وسائل الاعلام وتوقيع الوثائق المتعددة في ختام الزيارة والبيان المشترك الذي صدر في نهاية هذه الزيارة ، كل ذلك يعكس الامور التالية :

١ ـ عمق الصداقة بين الحزبين والشعبين والبلدين الصديقين التي جسدتها معاهدة الصداقة والتعاون الموقعة بين البلدين عام ١٩٨٥ ، والتي شكلت هذه الزيارة منعطفا جديدا في تطويرها ، وهذا ما يعكس نفسه على العلاقات في المجالات كافة .

٢ ـ ابرز البيان المشترك الصادر في ختام الزيارة ، اسهام هذه الزيارة في دفع مسيرة التعاون بين البلدين والتي تجلت في توقيع عدد من الاتفاقات الجديدة في المجالات الثقافية والاقتصادية والعلمية والفنية ، الى جانب الاتفاق على تبادل

الخبرات ، وتشجيع التعاون ، والتفاعل بين المنظمات والفعاليات الاجتماعية في البلدين .

٣ ـ ابرزت دور سورية في المنطقة والعالم، والتقدير لنهجها المعادي للامبريالية والصهيونية والمكانة المرموقة لقائدها المناضل الرفيق حافظ الاسد .

٤ ـ تطابق وجهات نظر البلدين الصديقين حول الموقف من ابرز المسائل الدولية ، وتجلى ذلك بما عبر عنه البيان المشترك حول الوضع في «الشرق الاوسط» وعدوان « اسرائيل » ، والطريق لاحلال السلام في هذه المنطقة وكذلك الوضع في لبنان، ودعم الدور العربي السوري فيه ، والموقف من الحرب العراقية ـ الايرانية ، وادانة تواجد القوات العسكرية الاميركية والاطلسية في مياه الخليج العربي ،الى جانب الموقف من النظام العنصري في جنوب افريقيا ، ومحاولة النيل من النظامين الوطنيين في افغانستان ونيكاراغوا ، واعتبار الولايات المتحدة ومن يسير بفلك سياستها ، السبب المباشر للتوتر في الاوضاع الدولية ، وتحميلها المسؤولية عن سياسة العدوان والهيمنة والدعوة الى وحدة المواقف لاحباط مخططاتها ، ومواجهة نهج العدوان والسيطرة الذي تحاول فرضه بالقوة .

٥ ـ تأييد النهج السلمي ، والسياسة السلمية للاتحاد السوفياتي والاجراءات المحددة التي تم الاتفاق عليها بين القوتين العظميين ، باعتبار ان هذه السياسة هي في مصلحة شعوب العالم كافة ، وتاييد نضال الشعوب من اجل الحرية وتوطيد استقلالها الوطني ، وتطورها ، وتقدمها .

ان هذه الزيارة تكتسب اهميتها في ظروف النضال المشترك لشعبي البلدين الصديقين ضد مخططات الامبريالية والصهيونية في منطقتي « الشرق الاوسط » والبلقان ، وفي العالم ، وفي ظرف تزيد الادارة الاميركية من نهج سياستها العدوانية وتوتير الاجواء الدولية في كل مكان من العالم ، وبشكل خاص في منطقة الخليج العربي ، وتسهم هذه الزيارة في دفع مسيرة التعاون بين البلدين نحو افاق جديدة تعكس مصلحة شعبي البلدين اللذين يجمعهما خندق نضالي واحد في مواجهة الامبريالية وسياسة العدوان والهيمنة ، ومن اجل التقدم وتحقيق سلام شامل وعادل لكل الشعوب .

لقد كانت الزيارة مثمرة ونتائجها جيدة على الصعد المختلفة ، ودفعت بالعلاقات الثنائية بين البلدين والشعبين الى مرحلة متقدمة ، وابرزت مرة اخرى ان الصداقة بين البلدين تستند الى استراتيجية ثابتة ارستها قرارات الحزبين الصديقين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي البلغاري .

المشاركة في احتفالات الذكرى السبعين

لثورة اكتوبر الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي

● تلبية لدعوة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي ، زار موسكو في الاسبوع الاول من تشرين الثاني وفد قيادي رفيع المستوى يمثل حزب البعث العربي الاشتراكي والجمهورية العربية السورية ، برئاسة الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد للحزب وعضوية الاخ فايز اسماعيل عضو القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية في القطر والرفيق محمود نوري كلو عضو اللجنة المركزية لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العربي السوري وعدد من الكوادر الحزبية العاملة في القيادتين القومية والقطرية السورية .

ولقد شارك الوفد في جميع اوجه احتفالات الذكرى السبعين لثورة اكتوبر الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي ، فضلا عن حضوره الجلسة الموسعة المشتركة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي ولمجلس السوفييت الاعلى ومجلس السوفييت العالي لجمهورية روسيا السوفييتية والتي امتدت يومين كاملين ، شارك الوفد في اللقاء الموسع الذي ضم حوالي مئة وثمانين وفدا تمثل الاحزاب والتنظيمات الشيوعية والعمالية والاشتراكية والديمقراطية الثورية والقوى الاخرى المحبة للسلام في العالم وكان يترأس غالبية الوفود الامناء العامون لهذه الاحزاب مثل فيديل كاسترو ،وتودور جيفكوف، اريك هونيكر ،فويشخ ياروزلسكي، يانوش كادار ، غوستاف هوساك ، الفارو كونيال ، منغستو هلا مريم ، نيكولاي شاوشيسكو ، جورج مارشيه ، محمد نجيب الله ، وغيرهم كثيرون ...

ولقد افتتح الامين العام للحزب الشيوعي السوفييتي الرفيق ميخائيل غورباتشوف هذا اللقاء الواسع ، رفيع المستوى ، بكلمة تحدث فيها عن اهمية اللقاء وديمقراطية وحرية الحوار فيه ، كما اكد معاني التعايش السلمي ونزع السلاح وانقاذ البشرية من حافة الهاوية النووية ، وتعرض لمبدأ « الربط بين نزع السلاح والتنمية » ، وطالب بان تحصل الدول النامية على مكانة متكافئة في العلاقات الاقتصادية الدولية ، والعمل على بناء نظام اقتصادي عالمي جديد . وفي كلمته هذه تحدث غورباتشوف عن عملية التغيير واعادة البناء

(البيرسترويكا) الجارية في الاتحاد السوفييتي والتي تهدف الى الاستفادة القصوى من امكانات المجتمع الاشتراكي المتطور واظهار مزاياه وافضلياته على خير وجه .

ولقد جلس الرفيق عبد الله الاحمر رئيس الوفد القيادي العربي السوري في هذا اللقاء الى يمين الوفد السوفييتي مباشرة ، كما كانت كلمته من بين الكلمات الخمس الاولى فيما يزيد من ستين كلمة القيت في هذا اللقاء .

وفي مستهل كلمته هذه نقل الرفيق الامين العام المساعد تحيات الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب رئيس الجمهورية العربية السورية الى القيادة السوفيتية والشعب السوفييتي الصديق وتهنئته بالذكرى السبعين لثورة اكتوبر وتمنياته لهذا اللقاء الواسع والهام بالنجاح في اعماله . وعرض الرفيق الامين العام المساعد بعد ذلك الهموم القومية للامة العربية ولسوريا بشكل خاص مؤكدا ان صمود سوريا امام الهجمة الامبريالية الصهيونية هو ، في احد ابعاده الكثيرة ، نشاط سوريا في المعركة العالمية التي لايمكن تجزئتها سيما وان ابشع صور العدوان وافظع اشكال الاحتلال والارهاب والتعسف تتعرض له امتنا العربية بالذات . وقال انه في منطقتنا العربية يظهر قانون التناقض بين القوى الامبريالية والصهيونية و والقوى التحررية والتقدمية في اكثر مظاهره حدة . وتطرق الرفيق الاحمر الى المنجزات الهائلة التي شهدتها سوريا في ظل الثورة والحركة التصحيحية المجيدة والى تطور العلاقات بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوفييتي وكذلك بين الاتحاد السوفييتي والقطر العربي السوري . واختتم كلمته بتاكيد اهمية الانفراج ونزع السلاح في خلق الظروف الدولية التي تساعد في تحقيق اهداف نضال الشعوب العادل وفي ردع المعتدي والتقليل من احتمالات نجاح عدوانه ...

ولقد امتد هذا اللقاء يومين كاملين تحدث فيه العديد من المشاركين ، ونشرت الكلمات بكاملها في الصحف السوفييتية تماشيا مع قاعدة العلنية (غلاسنوست) المتبعة حاليا في الاتحاد السوفييتي ، والتزاما بروح الحرية في التعبير التي سادت لقاء موسكو هذا ..

وعلاوة على هذه النشاطات المكثفة حضر الوفد العرض العسكري في الساحة الحمراء، كما حضر الرفيق الاحمر، رئيس الوفد، الاستقبال الذي اقامه غورباتشوف والقيادة السوفييتية لرؤوساء الوفود المشاركة في الاحتفالات .

وادلى الرفيق الاحمر كذلك بتصريحين الى الاذاعة والتلفزة السوفييتية ، والقى محاضرة فيجامعة موسكو ،ووضع اكليلا منالزهور على قبر الجندي المجهول.

وعلى هامش هذه النشاطات التي تدرج في اطار الاحتفالات بالذكرى السبعين لثورة اكتوبر ، اجرى الوفد القيادي محادثات مع وفد من الحزب الشيوعي

السوفييتي برئاسة الرفيق اناتولي دوبرينين سكرتير اللجنة المركزية رئيس مكتب العلاقات الدولية ، حيث تبادل الجانبان الصديقان المعلومات عن سياسة بلديهما الخارجية ونشاط حزبيهما في هذا المجال . وفي نهاية الاجتماع تم توقيع اتفاق تعاون بين الحزبين لعامي ١٩٨٧ و ١٩٨٨ .

ووقع الوفد كذلك اتفاق تعاون بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشعبي الثوري اللاوسي . كما التقى الرفيق الاحمر رؤساء عدة وفود تواجدت في موسكو ، حيث تم في هذه اللقاءات بحث قضايا التعاون بين حزب البعث العربي الاشتراكي والاحزاب التي تمثلها هذه الوفود ، كما تم بحث قضايا دولية راهنة كقضية النزاع العربي ـ الصهيوني ، والحرب العراقية ـ الايرانية ـ وقضايا حوض المتوسط ، والنضال ضد التمييز العنصري (الابارتهايد) ، وقضايا السلم والامن العالميين ونزع السلاح . وكان لهذه اللقاءات فائدة جمة في اطلاع الاحزاب المذكورة على موقف حزب البعث العربي الاشتراكي والقطر العربي السوري ازاء التطورات والمستجدات المتعلقة بالقضايا المذكورة .

وبناء على مبادرة من الرفيق الامين العام المساعد للحزب دعيت الوفود العربية المتواجدة في موسكو ، والتي تمثل احزابا فقط ، الى اجتماع موسع افتتحه الرفيق الاحمر بكلمة تحدث فيها عن ضرورة ايجاد صيغ عمل مشترك بين القوى التقدمية والوطنية العربية وتنسيق نضال هذه القوى ضمن اطر المصلحة القومية العليا وعلى اساس القواسم المشتركة التي تجمع الجميع واهمها الموقف الموحد من العدو الصهيوني المتربص بامتنا .

وتحدث المجتمعون في الاطار نفسه مؤكدين ضرورة عقد ندوة او لقاء تجتمع فيه الفصائل الوطنية والتقدمية في الوطن العربي ، تتبادل فيه هذه الفصائل وجهات النظر وتحدد خلاله القواسم المشتركة التي تشكل محاور عمل مشترك ونضال منسق بينها .

وعلاوة على هذه النشاطات المكثفة التقى الرفيق عبد الله الاحمر بقيادة المنظمة الحزبية وقيادة فرع الاتحاد الوطني لطلبة سورية والعاملين في السفارة وعدد من الطلبة العرب الدارسين في الاتحاد السوفييتي حيث تحدث الرفيق الاحمر امامهم حول تطورات الوضع ومستجداته في الوطن العربي واجاب عن اسئلتهم حول المواضيع المختلفة التي تتعلق بالقطر العربي السوري وبالامة العربية بشكل عام .

ولقد لاقى الوفد اثناء اقامته في موسكو حفاوة كبيرة واهتمام بالغ من قبل مضيفيه ، وكان التعامل مع الوفد يتناسب والدرجة العالية من التطور التي وصلتها العلاقات بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوفييتي وكذلك بين القطر العربي السوري والاتحاد السوفييتي الصديق ، هذه العلاقات التي اصبحت نموذجا يحتذى به ، وقاعدة لتوطيد علاقات عربية ـ سوفييتية واسعة النطاق .

احتفالات عيد الاستقلال لجمهورية اليمن الديمقراطية

● في الفترة ما بين الثامن والعشرين من تشرين الثاني والثاني من كانون الاول لبى وفد حزبي وحكومي رفيع المستوى دعوة اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني الشقيق فزار عدن للمشاركة في احتفالات الذكرى العشرين لاستقلال جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الشقيقة . ولقد تشكل الوفد برئاسة الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي وعضوية الرفاق عصام القاضي ، عضو القيادة القومية الامين القطري الفلسطيني ، د. احمد درغام عضو القيادة القطرية السورية ، ياسين رجوح عضو اللجنة المركزية للحزب وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء .

والى جانب مشاركته في الانشطة الاحتفالية المتنوعة ، اجرى الوفد في عدن عدة لقاءات واجتماعات واتصالات مع المسؤولين اليمنيين ومع الوفود العربية الشقيقة والاجنبية الصديقة المشاركة . ففي التاسع والعشرين من تشرين الثاني المنصرم استقبل الرفيق علي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني ، الرفيق الاحمر والوفد المرافق له حيث جرى بحث القضايا الراهنة التي تهم المصير الواحد لامتنا العربية كما نوقشت التطورات على الساحة الدولية . واثناء اللقاء اكد الجانبان ، اهمية تعزيز العلاقات بين الحزبين والقطرين الشقيقين بوصفها تشكل عاملا هاما من عوامل تعزيز الصمود العربي المعادي للامبريالية والصهيونية والرجعية . ولقد اشاد الرفيق البيض بدور سوريا وزعيمها المناضل حافظ الاسد في تدعيم التضامن العربي والوقوف في وجه المخططات الامبريالية والصهيونية .

ولقد اجرى الوفد في الثلاثين من تشرين الثاني محادثات مع وفد يمثل الحزب الاشتراكي اليمني ترأسه الرفيق سالم صالح محمد الامين العام المساعد للجنة المركزية للحزب ، وتم في نهاية هذه المحادثات توقيع برنامج تنفيذي للتعاون بين الحزبين الشقيقين في عامي ١٩٨٨ و ١٩٨٩ .

والتقى الرفيق عبد الله الاحمر رئيس الوفد رؤساء الوفود العربية الشقيقة والاجنبية الصديقة المشاركة في احتفالات الاستقلال في عدن ، وتركز الحديث في هذه اللقاءات على العلاقات بين حزب البعث العربي الاشتراكي والقطر العربي السوري وبين الاحزاب المعنية وبلدانها ، كما نوقشت تطورات الوضع على الساحتين العربية والدولية وتبودلت المعلومات حول نشاط الاحزاب والتنظيمات المعنية في هذا المجال وبحثت مواضيع اخرى ذوات اهتمام مشترك ..

واضافة الى هذه النشاطات المكثفة قام الوفد بزيارة مديرية الضالع ــ محافظة لحج حيث شارك في مهرجان جماهيري اقيم بمناسبة الاحتفالات بعيد الاستقلال ، وارتجل الرفيق الامين العام المساعد فيه كلمة قومية نقل في مستهلها تحيات الرفيق المناضل حافظ الاسد للقيادة اليمنية ولشعبنا في جنوب اليمن الشقيق وتهنئته بعيد الاستقلال كما قدم فيها عرضا للهموم القومية المشتركة ، وابرز تطور العلاقات بين الحزبين والبلدين الشقيقين .

وكما في موسكو ، فلقد تجددت في عدن صورة الحفاوة والاهتمام منقطع النظير بالوفد القادم من قلعة الصمود العربي سورية ، البلد الذي انجب قائدا عربيا فذا اضحى رمزا للنضال العربي المعاصر في كل اوساط الجماهير العربية وعلى كامل ساحة الوطن العربي الكبير ، هو القائد المناضل الرئيس حافظ الاسد الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي ــ رئيس الجمهورية العربية السورية .

القطر الفلسطيني

● تجسد يوما الى يوم مبادىء وقيم الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب فعلا كفاحيا ورؤية ثورية ، تفتح الطريق امام المناضلين من اجل كرامة وكبرياء الامة العربية . فقد وجه المقاتل خالد محمد اكر احد ابطال عملية شهداء قبية قبل توجهه لتنفيذ العملية رسالة الى الرفيق المناضل حافظ الاسد جاء فيها :

انا من مواطنيكم من سورية اخذت من سيرتكم درسا في الايثار والتضحية ، فاصبحت لا اعرف راحة الا بعد ان يصبح دمي نارا تحقق قدسية القتال وطهر الشهادة ونقاوة وطني ووطنكم فلسطين ، انا ماض في طريقي لا احمل في ذاكرتي الا كل ما هو رائع وعظيم من تراث شعبنا العربي في دمشق والقدس في بغداد والجزيرة كلها ، في شريط الدم العاطفي لشهداء حرب ١٩٧٣ في جبل الشيخ والجولان ، في سيناء وجنوبي لبنان ، في الخالصة وام العمار وصولا الى لحظة التفجير في منصة السادات ..

تغمرني في طريقي هذا ثقة لا تحد بان تحرير الارض وتحقيق الغلبة على العدو امران لا بد انهما قادمان بفعل احتضانكم ورعايتكم لكل المقاومين الشرفاء ، وبفعل استمراركم التاريخي في الوقوف الى جانب ثورتنا الفلسطينية المقاتلة الى جانب شعبنا الفلسطيني الذي يخوض معركة التصدي للعدو في فلسطين وفي خارجها .

وقال المقاتل خالد في رسالته : قد تكون هذه الرسالة الاخيرة فهي رسالة الايمان بقدرة شعبنا على الانتصار ، على دحر المؤامرة ، على هزيمة اصحاب برامج الانحراف والاستسلام التي يقودها اليمين العربي والفلسطيني ، انها تجسيد للارادة القومية الكبرى بان فلسطين هي قلب هذه الامة ، هي قلب الوحدة العربية ، فلا وحدة دون فلسطين ولا قتال فعليا دون فلسطين ، ولا صراع ــ هو التاريخ ــ دون فلسطين ، لقد تعلمت ذلك من صمود قاسيون دمشق ، من صمود قباب الكنائس ومآذن الله في القدس ، من صمود يوسف العظمة وصالح العلي وعبد القادر الحسيني وعز الدين القسام وحسن الخراط وابراهيم هنانو.

وختم رسالته قائلا : اسمح لي ايها الرفيق المناضل ان اقول ان شعبا قادرا على اعطاء الشهيد تلو الشهيد لابد وان ينتصر باذن الله . وتحية لكم ايها السيد الرئيس ومن رفيقي التونسي ورفيقي العربيين الفلسطينيين الذين آمنوا بان الاستشهاد هو السبيل لتحرير الارض والوطن،وثورة حتى تحرير الارض والانسان.

كما وجه ابطال عملية شهداء قبية رسالة تحية الى الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب رسالة تحية قبل توجههم لتنفيذ العملية جاء فيها :

في الوقت الذي تتعاظم فيه مؤامرة التحالف الامريكي الصهيوني ضمن حاضر ومستقبل امتنا وفي الوقت الذي تتسارع فيه قوى الردة العربية نحو تجميع قواها السياسية والاقتصادية والعسكرية والانطلاق نحو كامب ديفيد بقصد تعميمها وفرضها كخيار سياسي وحيد ، وفي الوقت الذي بات الخطر يهدد قضية شعبنا الفلسطيني وثورته الوطنية المسلحة بفعل نهج الانحراف والاستسلام ، في هذا الوقت بالذات اقسمنا نحن المقاتلين الاربعة تنفيذ عملية شهداء قبية في شمالي فلسطين ..

وقالت الرسالة : نحن مقاتلون من سورية وتونس وفلسطين وكان بودنا عدم تحديد نسب اقليمي لكننا نفعل هذا دحضا لمن يتاجر بقرار مستقل ، دحضا لمن يقلب الموقف القطري على الموقف القومي ، دحضا لمن يقلب الموقف الانفصالي على الموقف الوحدوي ، ففلسطين تقصد كل العرب الشرفاء والانتصار فيها لن يكون الا نتاجا لمقاومة عربية ولبطولة عربية ولتاريخ عربي ، واننا لمتأكدون ونحن في

طريق الصدام مع العدو ان راية الكفاح القومي ستبقى اكثر علواً بكم وان ذلك الصدام سيكون اكثر شدة باستمرار وقوفكم الــى جانبه لاحباط مؤامرة الذل والانحراف ولصيانة مشروع الكفاح القومي لتحرير فلسطين فانتم كنتم الضمانة في الحفاظ على وجودنا وبقاء نضالنا ..

هذا وكان الفدائيون الاربعة قد نفذوا عملية انتحارية في فلسطين المحتلة ، حيث قام فدائي منهم بمهاجمة معسكر لجيش العدو في منطقة الخالصة بعد ان وصله بطائرة شراعية وقتل وجرح عــدداً كبيراً من ضباط وجنــود العدو وبعد ان نفدت الذخيرة من الفدائي فجر الحزام الناسف في نفســه . ثم جرى اشتباك بعد الاقتحام بين الفدائيين الاخرين وافراد جيش العدو الصهيوني ادى الى مقتل عدد من ضباط وجنود المعسكر شل حركة باقي افراده ..

واسفرت العملية البطولية عن نشر جو من الذعر والقلق في اوساط حكومة وجيش العدو والمستوطنين الصهاينة ، وجرى استنفار القوات الصهيونية وفرض حظر التجول في منطقة الجليل باكملها ..